

تأليف
جذاع الشمري

مكتبة الصحوة الاسلامية

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مكتبة الصحوة الاسلامية
حولي ـ شارع بيروت ـ عمارة الهاجري
ت: ٢٥١١٠٠٦ ص.ب ١٣٣٤٢ كيفان

الفتن في الآثار والسنن

(تقديم)

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم .

أما بعد : ـ

فهذه رسالة كتبتها فيها أخبار الفتن ووقائعها التي ورد ذكرها في كتب الحديث والسنة المطهرة ، وغيرها من التآليف الأخرى . جمعتها إتماما للفائدة ، وحصولا للمنفعة ، وسبب تأليف هذه الرسالة هو ما يعيشه الناس من نكبات ومصائب ، وما عمّ في هذا الزمان من البلايا

والمحن والنوازل ، والخطوب الجسام ، والفساد الظاهر في البر والبحر ، وما يعانيه الدين من انطماس الكثير من معالمه ، وهجر تعاليمه التي جاء بها رسول هذه الأمة ﷺ ، وما آل إليه حال الإسلام والمسلمين من ضياع وتشتت ، لانصباب الفتن عليهم ، وتسلّط الأمم الكافرة ، وتفشي أنظمتها وقوانينها في بلاد المسلمين ، وغيره ، كل هذا بسبب البعد عن منهج الله القويم ، وصراطه المستقيم ، فأردت تنبيه المسلمين إلى باب عظيم من أبواب الدين الثابت بالسنة الصحيحة ، ليعلم أهل الحق والصلاح ، والسائرين في طريق الخير ، والعمل الآخروي ما جرى ، وما يجري ، وما سيجري من الفتن ، لاجتناب الوقوع فيها ، وبما أن أحاديث الفتن أكثرها موجودة في أمهات كتب الحديث ، ومخصص لها أبواب ، وشروح كثيرة ، يصعب على الكثيرين الوقوف عليها ، أو الاستدلال إلى مواطن وجودها ، فقد عزمت على جمع ماجاء في هذه المسألة ، على قدر الجهد المستطاع في تحقيق هذا المراد ، والله الهادي إلى طريق الصواب بإذنه ، وقد وقعت لبعض الأئمة والعلماء تصانيف

ومؤلفات في هذا الموضوع ، نذكر على سبيل المثال منهم : نعيم بن حماد أبا عبد الله المروزي صاحب التصانيف (٢٢٨هـ) في كتابه (الفتن والملاحم) وحنبل بن اسحاق الشيباني (٢٧٣هـ) في كتابه (الفتن) وأبا عمرو الداني (٤٤٤هـ) في كتابه (السنن الواردة في الفتن) وأبا عبد الله القرطبي (٦٧١هـ) في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) والحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) في كتابه (نهاية البداية) . والله نسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه . إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

(معنى الفتنة)

قال أهل العلم : الفتنة هي المحنة والعذاب والشدة ، وكل مكروه ، كالكفر والإثم ، والفضيحة والفجور والمصيبة ، وغيرها من المكاره ، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمره سبحانه وتعالى فهي مذمومة ، وقد ذم الله تعالى الإنسان بإيقاع الفتنة ، كقوله تعالى : ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾[1] .

قال الراغب : أصل الفَتْن ـ بفتح الفاء وتاء ساكنة ـ إدخال الذهب في النار ، لتظهر جودته من رداءته ، ويستعمل في إدخال الإنسان النار . وقال

---

(١) كتاب الاذاعة لصديق القنوجي / ١١

الحافظ : ويطلق على العذاب . كقـوله تعـالى ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ وعلى ما يحصـل عنه العـذاب ، كقولـه تعالى ﴿ **ألا في الفتنـة سقطوا** ﴾ وعـلى الاختبار كقـوله تعـالى ﴿ **وفتنـاك فتونـا** ﴾ وفيما يـدفع إليـه الانسان من شـدة ورخاء ، وفي الشدة أظهر معنى ، وأكثر استعمالا ، قال تعالى ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ ومنه قـوله تعـالى ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك** ﴾ أي يوقعونك في بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحي اليك . وقال غيره : أصل الفتنـة : الاختبـار ثم استعملت فيـما أخـرجتـه المحنـة والاختبار إلى المكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه ، أو آيل إليه ، كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك[٢] .

(٢) فتح الباري لابن حجر / ١٣ / ٣

(اتباع عادات
الأمم السابقة)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع . فقيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلّا أولئك ؟ (رواه البخاري في صحيحه ٩/١٢٦) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب ، تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ (رواه أحمد) ٣/٨٤ ـ ٨٩ واتفق عليه الشيخان (١٧٠٨) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لتركبن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر ،

وذراعا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب ، لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه[٣] بالطريق لفعلتموه . (قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله ثقات (٧/٢٦١) وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/٤٥٥) والحديث إسناده جيد) .

قال المباركفوري : والسنة لغة : الطريقة ، حسنة كانت أو سيئة ، والمراد هنا طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم ، من تغيير دينهم وتحريف كتابهم ، كما أتى على بني اسرائيل . ا . هـ . وقال النووي : والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم . والمراد : الموافقة في المعاصي والمخالفات ، لا في الكفر وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ أ . هـ . (تحفة الأحوذي ٣/٢١٣) . وقال الكرماني : حديث أبي هريرة مغاير لحديث أبي سعيد . لأن الأول فسّر بفارس والروم ،

(٣) وقع في مستدرك الحاكم حسب روايته لفظ (امرأته) بدل (أمه) التي أثبتناها في الحديث وذلك لثبوتها في المصادر الأخرى التي ذكرت الحديث . ولعله خطأ من الأخطاء الكتابية التي تكثر في المستدرك ، من خط الناسخ . والله أعلم .

والثاني باليهود والنصارى ، ولكن الروم نصارى ، وقد كان في الفرس يهود ، أو ذكر على سبيل المثال ، لأنه قال في السؤال كفارس . اهـ. وقال الحافظ ابن حجر : ويعكر عليه جوابه ﷺ بقوله (ومن الناس إلا أولئك) لأن ظاهره الحصر فيهم ، وقد أجاب الكرماني بأن المراد حصر الناس المعهود من المتبوعين . قلت : ووجهه أنه ﷺ لما بعث كان ملك البلاد منحصرا في الفرس والروم ، وجميع ما عداهم من الأمم من تحت أيديهم ، أو كلاشيء بالنسبة اليهم ، فصح الحصر بهذا الاعتبار ، ويحتمل أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام ، فحيث قال : فارس والروم ، كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس ، وسياسة الرعية ، وحيث قال : اليهود والنصارى ، كان قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها أهـ. (فتح الباري ١٣/ ٣٠١) . وقال العيني : يقال : أخذ فلان بأخذ فلان ، أي سار بسيرته ، والقرون جمع قرن وهو الأمة من الناس ، وقوله (ومن الناس إلا أولئك) أي فارس والروم . كلمة (من) للاستفهام على سبيل الإنكار ، قيل : الناس ليسوا منحصرين فيهما وأجيب بأن المراد

حصر الناس المتبوعين المعهودين المتقدمين ، وانما عين هذين الجيلين ، لكونهما كانا اذ ذاك أكبر ملوك الأرض ، وأكثرهم رعية ، وأوسعهم بلادا ، قال ابن بطال : أعلم النبي ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور ، والبدع والأهواء ، كما وقع للأمم قبلهم . قال العيني : قد وقع معظم ما ذكره خصوصا في الديار المصرية ، وخصوصا في ملوكها وعلمائها وقضاتها . أهـ . (من عمدة القاري ٢٥/٥٢ ـ ٥٣) .

قلت : وفي زماننا هذا لم يبق شيء مما كانت عليه الأمم قبلنا إلا ورأيناه حادثاً في زماننا هذا ، من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله من قبل العامة والخاصة ، والتشبه بأهل الديانات الأخرى . واتباع الشهوات والأهواء ، والعمل بخلاف ماكان عليه المسلمون الأوائل وانتشار الجهل ، والاعجاب بالرأي ، والتمسك بالبدع والمحدثات ، والتحايل على الشريعة في تحليل الحرام ، وترك الواجبات ، واعظم هذه المخالفات تفرق المسلمين الى جماعات وأحزاب وطوائف ما أنزل الله بها من سلطان . واستحلال الدماء ، وتكفير المخالف

وتضليله ، كـل هذه الأمـور واقعة في هـذا الزمـان بين المسلمين ، وغيرها كثير لا يخفي على عاقل .

قال القسطلاني : قوله (حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتهم) والضب هـو الحيوان البـري المعروف ، يشبـه الورل ، وقد قيل : أنه يعيش ٧٠٠ سنة فصاعدا ، ويبول كل أربعين يوما قطرة ، ولا تسقط له سن ، وخص جحره بالذكر ، لشدة ضيقه ، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم في المعـاصي لا في الكفر ، أي أنهم لاقتفـائهم آثـارهم . واتباعهم طرائقهم ، لو دخلوا مثل هذا الضيق لوافقوهم (ارشاد الساري ١٠/٣٢٨) .

قلت : وقوله (حتى لو جامع أحدهم أمه بالطريق لفعلتموه) : في هذا أيضا ما ستكون عليه هذه الأمة ، وبلوغها غايـة الانحطاط ، والـرذالة الخلقيـة ، بنزولهم بأفعالهم ، الى مرتبة البهائم التي تتناكح بينها ، لافرق في ذلـك بين أم وولـدهـا ، أو أب وصغيـرتـه ، أو أخت وأخيها ، وهذا الوصف إشارة أيضا إلى شدة الموافقة للأمم السابقة ، في انحرافها وضلالها ، وقد بين المصطفى ﷺ بعض ما سيحدث لأمته من بعده . وقبل يوم القيامة ،

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير . قلت : إن ذلك لكائن ؟ قال : نعم ، ليكونن . (رواه ابن حبان في صحيحه انظـــر الزوائد ١٨٨٩) .

ولا يعجب من ذلك ، فقد يكون وقوعه في زمن قريب من قيام الساعة ، وهو الزمن الذي يسود فيه الشرك ويطغى الأشرار ، كما جاء في الحديث (لاتقوم الساعـة إلا على شـرار الناس) - أنـظر رسالتنـا (علامـات الساعـة) .

ويكون أيضا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما نرى في زماننا الآن وخاصة في ديار المسلمين من خروج النساء في الطرق والأسواق شبه عاريات ، حتى أصبح هذا أمرا مألوفا ولو أنهن عشن في زمن من قبلنـا لرجمن بالحجارة .

(فتنة النساء)

عن أسامة بن زيد بن حارثة وسعيد بن عمرو رضي الله عنهما أنهما حدثا عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما تركت بعدي في الناس ، فتنة أضرّ على الرجال من النساء . رواه أحمد (٥/ ٢٠٠) والشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان (١٧٤٤) والترمذي (٢٧٨٠) .

قال المباركفوري : لأن طباع كثير تميل اليهن ، وتقع في الحرام لأجلهن ، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن ، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا ، وأي فساد أضرّ من هذا ؟ وإنما قال : (بعدي) لأن كونهن فتنة أضرّ ، ظهر بعده أهـ. قال الحافظ : في الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد قوله تعالى : ﴿**زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين**﴾ الآية، فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن بقية الأنواع، إشارة إلى أنهن

الأصل في ذلك ، وقال : قال بعض الحكماء : النساء شر كلهن ، وأشرّ ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ، ومع أنها ناقصة العقل والدين ، تحمل الرجل على تعاطي مافيه نقص العقل والدين ، كشغله عن طلب أمور الدين ، وحمله على التهالك على طلب الدنيا ، وذلك أشد الفساد . أهـ. (تحفة الأحوذي ١٢٣/٣) وفتح الباري (١٣٨/٩) . وقال القسطلاني : وتحقيق كون الفتنة بهن أشد ، أن الرجل يحب الولد لأجل المرأة ، وكذا يحب الولد الذي أمه في عصمته ويرجحه على الولد الذي فارق أمه بطلاق أو وفاة غالبا ، وقد قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم** ﴾ قال : تحمل الرجل على قطيعة الرحم ، فلايستطيع مع حبه إلا الطاعة . أهـ. (ارشاد الساري (٨/ ٢٥) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء . (رواه أحمد (٢٢/٣) ومسلم في صحيحه ٨/ ٨٩) .

قال النووي رحمه الله : (اتقوا الدنيا واتقوا النساء) : اجتنبوا الافتتان بها ، وبالنساء ، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن ، وأكثرهن فتنة الزوجات ، لدوام فتنتهن ، وابتلاء أكثر الناس بهن ، ومعنى (الدنيا خضرة حلوة) : يحتمل أن المراد به شيئان : أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ، ولذتها ، كالفاكهة الخضراء الحلوة ، فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا ، فكذا الدنيا ، والثاني : سرعة فنائها ، كالشيء الأخضر في هذين الوصفين ، ومعنى (مستخلفكم فيها) : جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم . أهـ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس[٤] ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت

---

(٤) هذا الصنف هم الشرطة الذين لدى الأمراء والسلاطين الظلمة ، وسيأتي بيان ذلك في فتنة الأئمة والولاة .

المائلة ، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا[5] . (رواه أحمد (٢ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٤٤٠) ومسلم (٦/ ١٦٨ ـ ٨/ ١٥٥) .

قلت : وقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ بظهور هذا الصنف من الناس ، ألا وهو النساء الكاسيات العاريات ، وقد قيل في معنى الحديث معان كثيرة ، أقربها إلى الحق هو من قال : بأن (كاسيات عاريات) : أنهن يلبسن ثيابا رقيقة تصف لون الجسد ، أو ثيابا قصيرة ، فهن كاسيات في الاسم ، عاريات في الحقيقة ، ومعنى (مائلات) أي يمشين مائلات متبخترات ، وقيل يمشين مشية البغايا اللواتي يمشين مائلات ، لإغواء الرجال بهن ، وقيل (مميلات) أي يدعن غيرهن من النساء مقلدات

---

(٥) اختلفت الروايات في تحديد هذه المسيرة ، ففي رواية أنها أربعين عاما ، وفي أخرى سبعين عاما ، وفي أخرى مائة عام ، وفي رواية خمسمائة عام ، وأخرى ألف عام، ذكر ذلك الحافظ في الفتح (١٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وذلك للجمع بين هذه الروايات ، ونقل فيه قول شيخه في الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص ، بتفاوت منازلهم ودرجاتهم . ونقل كلام ابن العربي : ريح الجنة لايدرك بطبيعة ولا عادة ، وإنما يدرك بما يخلق الله من ادراكه ، فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين ، وتارة من خمسمائة . أهـ.

بـالمشي كمشيتهن ، وقيل : أي يملن الـرجـال إليهن ، بهيئتهن هـذه ، فيميل إليهن ضعـاف النفوس . ومعنى (على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) أي بمـا يعمـلن بشعورهن من لفها ، وتكويرها إلى أعلى فهي تشبه أسنمة الابل المائلة ، قال ابن دريد : ناقة ميلاء ، إذا مال سنامها إلى أحد شقيها .

وأخيـرا اعلم رحمك الله أن هـذه الفتنة التي أخبـر عنها النبي ﷺ موجودة في هذا الزمان ، وغيرها من الفتن ، التي حذر منها الـرسول الكـريم ، عليه أفضـل الصلاة والتسليم ، فينبغي تعليم هؤلاء النساء ، مالهن وما عليهن من الحقوق التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف لأن دور المرأة في بناء المجتمع مهم جداً ، فهي تساعد على بناء هذا المجتمع ، لا على هـدمه ، بمـا تظهـره من تصرفـات ، وأفعال تؤدي به إلى الهلاك ، والدمار ، وعليها القيام بما يلتزم عليها من حقوق تجاه الله ، وتجـاه الزوج والأولاد والمجتمع ، وقد بين الرسول ﷺ ما أدى إلى هـلاك بني اسرائيل ، وزعزعة كيانهم ، وأن أول هذا الهلاك بدأ ، بفتنة النساء ، وسكوت الرجال عليها ، ومن أمثلة ذلك

قوله عليه الصلاة والسلام : إنما هلكت بنو اسرائيل حين أتخذ هذه نساؤهم[6] ـ أي القصة من الشعر ـ تضعها المرأة على شعرها اضافة عليه ، لتبدي زينتها للرجال . وقال عليه الصلاة والسلام : أن أول ما أهلك بني اسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ ما تكلف امرأة الغني . . الحديث .[7] فاحذر رحمك الله من ذلك ، وأمر نساءك بطاعة الله عز وجل ، امتثالا لأمر الله القائل : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ .

---

(٦) رواه الشيخان (١٣٧٨) من حديث حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج يقول ذلك .

(٧) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص (٣٢٠) وقال العلامة الشيخ الألباني : صحيح على شرط مسلم (السلسلة ٥٩١) .

(فتنة الدنيا والمال)
(لكل أمة فتنة)

عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي : المال . (رواه الترمذي وصححه (٢٣٣٦) وابن حبان (٢٤٧٠) والحاكم (٤/٣١٨) وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) .

قلت : معناه أن لكل أمة من الأمم فتنة ، تختص بها وتكون سبباً لضلالها ، ومعصيتها ، كما أخبر بأن غالب فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ، مع وجود غيرها من الفتن إلا أنها الغالبة عليها ، (وفتنة أمتي المال) أي أن أكثر ضلال أمتي وسبب عصيانها هو بسبب المال ، فإن الحرص على المال ، والانشغال بجمعه ، دون الأخذ بالاعتبار ، ما سيؤدي إليه جمع هذا المال ، من كثرة

الحساب عليه ، وتعدد الحقوق فيه مثلا للفقراء والمستحقين له ، فإن صاحب هذا المال يعرض نفسه للهلاك والخسران بسببه ، وقد جاء في الحديث المروي عن النبي ﷺ : اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت ، والموت خير له من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب[٨] . كذلك لا يخفى ما يؤدي إليه الحرص على طلب المال ، من تضييع حق الله في العبادة ، والانشغال عن الواجبات ، كالصلوات ، وحضور مجالس العلم ، وترك العناية بتربية الأولاد ، واصلاح الأهل ، حيث لايجد الرجل وقتا ، لتعليم أولاده التربية الصالحة ، ويتركهم عرضة للانحراف والضياع ، وهو المسئول عنهم أمام الله يوم القيامة .

(التخوف من الدنيا وزينتها)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلس

---

(٨) رواه أحمد (٤٢٧/٥) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه (انظر صحيح الجامع ١٣٨)

رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : إن مما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ، وزينتها . فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر ؟ فصمت النبي ﷺ ، حتى ظننت أنه ينزّل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه ، فقال : أين السائل ؟ قال : أنا . قال : لا يأتي الخير بالشر ، إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا ، أو يلم ، إلا آكلة الخضر ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس ، فاجترت ، وثلطت ، وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال حلوة ، من اخذه بحقه ، ووضعه بحقه ، فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه ، كان كالذي يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة . (رواه أحمد ٣/٧ ـ والبخاري ٢ / ١٥٠ والنسائي ٥/ ٩٠) .

قوله :(إن مما أخشى عليكم) أي مما أتخوفه عليكم ، مما سيظهر من بعدي من انفتاح الدنيا عليكم ، والذي سيؤدي إلى هلاككم ، مع وجود الغنى ، لأن النفوس تميل إلى الرخاء ، وحب السكون إلى الراحة ، فتتكاسلون عن طاعة الله ، وقد أخبر الرسول بذلك أصحابه لما رآه من

تخوفهم مما هم فيه من الفقر ، فظنوا أن هذا هلاك ، ففي سنن أبي ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نذكر الفقر ، ونتخوفه ، فقال : الفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا ، صبا ، حتى لا يزيغ قلب أحدكم الا هيه ، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء[٩] . وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ من انفتاح الدنيا على أمته ، وانشغالهم بها عن أمور دينهم ، وهذا هو الشر الذي جاء به الخير ، فعن أبي جحيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ستفتح عليكم الدنيا ، حتى تنجّدوا .[١٠] بيوتكم كما تنجّد الكعبة ، فأنتم اليوم خير

---

(٩) رواه ابن ماجه في السنن (٥) باسناد جيد (وانظر صحيح الجامع ٩)

(١٠) نجّد البيت : أي زينة بستور وفرش ، وقد ورد كراهة ستر الجدار بما رواه مسلم في صحيحه (١٦٦٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت : أنها سترت جدارا لها ، فلما جاء النبي ﷺ ، غضب من ذلك ، وأخذ الستر وهتكه (أي قطعه) ثم قال لها : أتسترين الجدار ؟ إن الله لم يأمرنا مما رزقنا أن نكسو الحجارة والطين . وكره ذلك أيضا جماعة من أهل العلم من الصحابة والتابعين ، كأبي أيوب الانصاري وابن عمر رضي الله عنهما ، وراجع فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) فإن فيه تحقيقاً مفيداً .

من يومئذ[11] . أي أنكم اليوم ، مع وجود الفقر خير من أولئك المنعمين ، لأنكم على الهدى من دينكم ، وعلى سلامة منه ، وقوله (ان هذا المال خضرة حلوة) : أي أن المال كالبقلة الخضراء الحلوة ، وأن المراد بالمال هنا الدنيا ، لأنه من زينتها ، قال الله تعالى ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ . وقوله (كل ما أنبت الربيع) : أي ما يخرج به من النبات ، وهو مجازي بالنسبة إليه ، لأن المنبت في الحقيقة هو الله ، وقوله (يقتل حبطا) : والحبط هو انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، يقال : حبطت الدابة ، تحبط حبطا ، إذا أصابت مرعى طيبا ، فأمعنت في الأكل ، حتى تنتفخ فتموت ، وقوله (أويلم) : بضم أوله ، يقرب من الهلاك ، وقوله (آكلة الخضر) الدابة التي تأكل الخضر ، وهو ضرب من الكلأ ، يعجب الماشية ، وقوله (ثلطت) : أي ألقت مافي بطنها رقيقا ، والثلط : هوالغائط غير المتماسك . أهـ. وهذا الحديث يرشدنا إلى الحذر من المال وأن الذي لايحسن استعماله ،

---

(١١) أخرجه ابن ابي عاصم في الزهد رقم (٢٧٨) والبزار كما في المجمع (١٠/٢٢٣) والطبراني في الكبير (٢٢/١٠٨) وإسناده قوي .

ودواعيه الملزمة له ، فإنه يؤدي به إلى الهلاك ، ويكون هذا المال شهيدا عليه يوم القيامة ، ويحاسب عليه ، عند الله ، كما وقع ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ : لاتزول قدما عبد ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه مافعل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟[١٢] وقال الغزالي : مثل المال مثل الحية التي فيها ترياق نافع ، وسم ناقع ، فإن أصابها العارف الذي يحترز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها ، كان نعمة ، وإن أصابها الغبي ، فقد لقي البلاء المهلك . (انظر الفتح ١١/٢٤٨) .

(الدينار والدرهم)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يعطي الناس عطاءهم ، فجاءه رجل ، فأعطاه ألف درهم ، ثم قال : خذها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما

---

(١٢) رواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الاسلمي وقال : حسن صحيح .

أهلك من كان قبلكم الدينار ، والدرهم ، وهما مهلكاكم . (قال الهيثمي : رواه البزار واسناده جيد (١٠/ ٢٣٧ ـ ٢٤٥) وسبقه المنذري ، وله شاهد موقوف عن أبي موسى رواه أحمد في الزهد (١٩٩) وانظر صحيح الجامع برقم (٢٢٤١) .

والمعنى : أن هذان هما سبب هلاككم ، كما كانا سبب هلاك من قبلكم من الأمم ، وخسرانهم ، وضلالهم ، ومعصيتهم ، فاستوجب عقابهم ، على هذا ، والمراد : الحرص والجمع زيادة على الحاجة ، والاشتغال بهما عن الواجبات والطاعات ، وهذا الذي ذمه الشارع الحكيم ، بقوله عليه الصلاة والسلام : تعس عبد الدينار ، والدرهم[١٣] . أي الطالب لهما الحريص على جمعهما وحفظهما ، فيكون كالعبد والخادم لهما ، يرضى لزيادتهما ، ويغضب لنقصانهما ، لذا قال في آخر الحديث المذكور : إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض .

---

(١٣) رواه البخاري (٨/ ١١٥) من حديث أبي هريرة في كتاب الجهاد والرقاق .

(سيصيب أمتي داء الأمم)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : سيصيب أمتي داء الأمم . فقالـوا : يا رسـول الله ، ومـاداء الأمم ؟ قـال : الأشـر والبـطر ، والتكاثر ، والتناجش في الدنيا والتباغض ، والتحاسد ، حتى يكون البغي . (رواه الحاكم (٤/١٦٨) وصححه ووافقه الذهبي ورمز له السيـوطي بالصحـة في الجامـع الصغـير وتبعـه الألبـاني في صحيـح الجـامـع (٣٥٥٢) وحسنه) .

قـوله (سيصيب أمتي) : أي سيقـع لها ، وقـولـه (الأشر والبطر) : أي الاستكبار ، وكفران النعمة ، فلا يؤدي حقها ، من شكر المنعم ، المتفضّـل بها ، أو حتى الاعتراف بأنها نعمة من الله ، وفي المعجم : بطر النعمة : استخفها ، فكفرها ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بـطرت معيشتها** ﴾ وبـطر الحق : أنكره ، ولم يقبله ، وفيه : أشر : بـطر واستكبر ، فهـو أشر ، وفي التنـزيل العزيز: ﴿ **بـل هـو كـذاب أشـر** ﴾ . وقـولـه

(التكاثر) : هو التنافس والتفاخر في كثرة الأموال والأولاد ، والأعوان بحقه أو بغير حقه . وقوله (التناجش) : من النجش ، وهو الزيادة في ثمن السلعة ممن لايريد شراءها ، ليوقع غيره فيها ، وهذا ضرب من ضروب المكر والخديعة ، الذي نهى عنه النبي كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : نهى النبي ﷺ عن النجش وقوله (التباغض) : أي ظهوره بينكم ، والمراد به المذموم منه ، ماكان بسبب الأهواء ، أو الدنيا ، وما كان لغير الله تعالى ، لأن هذا الأخير واجب ، حث عليه الشارع الحكيم ، وأن فاعله يثاب عليه ، لما فيه من تعظيم حق الله ، كما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام : إن أوثق عرى الايمان أن تحب في الله ، وتبغض في الله[14] . وفي رواية عنه ﷺ أنه قال : « من أحب لله ، وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان »[15] . وقوله (التحاسد) : والحسد

---

(١٤) رواه أحمد ٤ / ٢٨٦ من حديث البراء بن عازب (وانظر الترغيب والترهيب ٤ / ٤٩ ـ ٥٠) .

(١٥) رواه أبو داود ٢ / ٢٦٩ والطبراني في الكبير وإسناده حسن (٨ / ١٥٩ ، ٢٠٨) وهو من حديث أبي أمامة .

من أمراض النفوس التي تغلب على كثير من الناس ، وطباعهم ، ولذا قيل : (ماخلا جسد من حسد) ، ولكن اللئيم يبديه ، والكريم يخفيه ، لذا حرص الشارع على التنبيه عليه ، للتأكيد على أنه من أسباب الكراهية والبغضاء ، ويستثنى من الحسد التسابق على فعل الخيرات ، دون أن يكون في ذلك تمني زوال النعمة عن صاحبها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه أناء الليل والنهار .[١٦] أي إن كان هناك حسد ففي هذين يكون ، وقوله (حتى يكون البغي) : أي أن هذه الأدواء ، تؤدي إلى وقوع الظلم والاعتداء بغير حق ، وما سينشأ عنها ، لأنها مسببات ذلك ، والله أعلم .

(هلاك الأمة في الكتاب واللبن)

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال :

---

(١٦) اتفق عليه الشيخان (٤٦٦) اللؤلؤ والمرجان .

سمعت رسـول الله ﷺ يقول : هـلاك أمتي في الكتاب واللبن . قـالوا : يـا رسول الله ، مـا الكتاب واللبن ؟ قال : يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز وجل ، ويحبون اللبن ، فيدعون الجمـاعات والجمـع ، ويبدون ـ وفي رواية ـ إني أخاف على أمتي اثنتين : فذكر القرآن واللبن . . . الخ . (رواه الامام أحمد في مسنده (٤ / ١٥٥ ـ ١٥٦) ويعقوب بن سفيان في كتاب المعرفة والتاريخ (٢ / ٥٠٧) واسناده جيد ، من رواية المقرىء عن ابن لهيعة وتابعه أبو السمح في رواية أحمد الثانية وهو صدوق كما في التقريب إلا في رواية أبي الهيثم وقد رأيت الحاكم صححه ووافقه عليه الذهبي (٢ / ٣٧٤) .

قـوله (هـلاك أمتي) : أي ضلالهـا وضيـاعهـا في الدين ، وهوناشىء عن الفرقة، والتشتت في طلب حرث الدنيا ومتاعها ، وكذلك من الفـرقة في الـدين إلى فرق وطوائف ، وخصّ هنا (الكتاب واللبن) لأن القرآن هو

---

* قلت : يشير إلى حديث أبي هريرة : يأتي على الناس زمان يأكلون الربا ، فمن لم يأكله ، أصابه من غباره . أخرجه أبو داود (٢ / ٨٣) والنسائي (٧/ ٢٤٣) وأحمد (٢ / ٤٩٤) واسناده ضعيف فيه انقطاع أشار إليه المنذري في الترغيب (٣/ ٥٣) وانظر ضعيف الجامع (٤٨٦٧) .

الصراط المستقيم الذي ينبغي أن تجتمع عليه الأمة ، وتتوحد به كلمتها ، ولكنهم تميل بهم الأهواء والأدواء إلى الاختلاف فيه ، والتنازع في محتواه ، كل حسب هواه وشهوته ، ويدخلون في باب التأويل ، وهذا النوع منه كثير في المشتغلين بالعلم ممن زاغوا عن الصراط كالرافضة ، والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم من أهل الأهواء والملل الزائغة ، ويقع هذا التأويل أيضا عند أهل الفسق ، وأهل الايمان الظاهر ، ممن يتعلم القرآن دون علم بمحكمه ومتشابهه ، ومطلقه ومقيده ، فيصرفون الآيات إلى ما تستنبطه عقولهم ، وما تميل إليه أهواؤهم ، ويؤيده مافي الرواية الثانية في قوله : (يتعلمه المنافقون ، فيجادلون به المؤمنين) وقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع صوت رجلين اختلفا في آية ، فخرج عليهما الرسول ﷺ وهو غاضب فقال : إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (أنظر مختصر مسلم ٢١٢١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين**

في قلوبهم زيغ ، فيتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذي سمى الله عز وجل ، فاحذروهم . (انظر مختصر مسلم ٢١٢٦) .

وأما قوله (يتبعون اللبن) : واللبن شراب لذيذ مغذ ، تميل إليه النفوس دون غيره من الأشربة ، وخاصة أهل الصحراء ، وقد اختاره النبي ﷺ ليلة الاسراء والمعراج ، وقال له جبريل عليه السلام : الحمد لله الذي هداك للفطرة ، لذا حذّر النبي ﷺ من التفريط في تحصيل هذه النعمة ، والاشتغال بها عن أداء الفرائض الواجبة ، كصلاة الجماعة والجمعة ، وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ألا هل عسى أحدكم أن يتخذ الصبة من الغنم ، على رأس ميل أو ميلين ، فيتعذر عليه الكلأ ، فيرتفع ، ثم تجيء الجمعة فلا يجيء ، ولا يشهدها ، وتجيء الجمعة ، فلا يشهدها ، وتجيء الجمعة ، فلا يشهدها ، حتى يطبع الله على قلبه

(رواه ابن ماجه باسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه قاله المنذري في الترغيب والترهيب ١ / ٢٦٠) . ولا يخفى ما للصلاة من منزلة عظيمة في الاسلام ، فهي عمود الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال يوم القيامة ، وقد حذّر الله عز وجل من اضاعتها ، كما قال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتَّبَعُوا الشهوات ، فسوف يلقون غيّا** ﴾ .

(الفتنة في الحلال والحرام)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن الحلال أم من الحرام . (رواه أحمد (٢ / ٥٠٥) والبخاري (٣/ ٧٧) والدارمي (٢ / ٢٤٦) وأخرجه النسائي (٧/ ٢٤٣) ولفظه : يأتي على الناس زمان ، ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام .

قال ابن التين ـ أحد شراح صحيح البخاري ـ أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيرا من فتنة المال ، وهو من بعض دلائل نبوته لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه ، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين ، وإلا فأخذ المال من الحلال

ليس مذموما من حيث هو ، والله أعلم . أهـ. (فتح الباري ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٧) . وقال الإمام السندي في شرح هذا الحديث : أي من أي وجه ، أي لا يبحث أحد عن الوجه الذي أصاب المال منه ، أهو حلال أم هو حرام ، وإنما المال نفسه يكون مطلوبا بأي وجه وصل اليد إليه أخذه ، ومثل هذا الحديث حديث : يأتي على الناس زمان يأكلون الربا* قلت : هو زماننا هذا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وفيه معجزة بيّنة له ﷺ . (حاشية السندي على النسائي ٧/٢٤٣ ـ ٢٤٤) . ومعجزة هذا الحديث ظاهرة في زماننا هذا ، من تكالب الناس على طلب المال ، دون تفريق بين وجوه الحلال ووجوه الحرام ، وتجاهل وسائل الكسب المشروع الذي حثّ عليه ديننا الحنيف ، كما أن التقلب بين الحرام والحلال ، في كون أن البعض يحرم الحلال أو يحلل الحرام ، يعد من باب الفتنة لهؤلاء الذين لم يطلعوا على أحكام المسائل والمعاملات من مصادرها ، أو من واقع البحث عن الحقيقة والصواب ،

(*) قلت : يشير إلى حديث أبي هريرة : يأتي على الناس زمان يأكلون الربا ، فمن لم يأكله ، أصابه من غباره . أخرجه أبو داود (٢/٨٣) والنسائي (٧/٢٤٣) و أحمد (٢/٤٩٤) واسناده ضعيف فيه انقطاع أشار إليه المنذري في الترغيب (٣/٥٣) وانظر ضعيف الجامع (٤٨٦٧) .

فتجد بعضا من هؤلاء يحرّم شيئا اليوم ، ويحلّله غدا ، أو يحلله اليوم ويحرمه بعد غد ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا ؟ فإن كان رأى حلالا كان يراه حراما ، فقد أصابته الفتنة ، وإن كان يرى حراما ، كان يراه حلالا ، فقد أصابته (رواه الحاكم (٤/٤٦٧) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي) .

(ظهور الفتن المختلفة)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج . قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل . (رواه أحمد ٢ / ٢٣٣ واتفق عليه الشيخان ـ اللؤلؤ والمرجان رقم ١٧١١ ـ وأبو داود ٢ / ٢٠٢) .

قوله (يتقارب الزمان) : ذكر فيه معان كثيرة . قيل : تقارب أهل ذاك الزمان بعضهم من بعض ، وقيل : المراد به قصر أعمار أهله ، وقلة البركة فيها ، وقيل : هو قصر مدة الأيام والليالي على ماروى أن الزمان يتقارب حتى يكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السعفة . وهذا الأخير هو الأقرب الى المعنى لأنه مفسر

بحديث[17] وقوله (يقبض العلم) أي يرفع العلم بقبض العلماء ، وفي رواية (ينقص العلم) ومحصوله ببدء قبض العلماء ، وسيأتي الكلام عن قبض العلم في هذه الرسالة وقوله (تظهر الفتن) : أي يكثر ظهورها على اختلاف أنواعها . وأشكالها ، وما يترتب عليها من المحن والبلايا العظام ، وقوله (يلقى الشح) : والشح هو البخل ، أي يلقى البخل في القلوب ، فيبخل كل إنسان بما عنده ، الغني بماله ، والحكيم بحكمه ، والصانع بصنعته ، والعالم بعلمه ، وفي الحديث إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالبخل ، فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا .[18] وقوله

---

(١٧) الحديث رواه أحمد (٢/٥٣٨) من حديث أبي هريرة بلفظ : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة . . إلى آخر الحديث وإسناده على شرط مسلم ، وله شاهد من حديث أنس بن مالك رواه الترمذي (٢٣٣٢) وشاهد آخر من حديث أسماء بنت يزيد رواه أحمد (٦/٤٥٤ ـ ٤٥٩) .

(١٨) رواه أبو داود (١/٢٦٨) والحاكم (١/٤١٥) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عبدالله بن عمرو ، وله شاهد عند مسلم من حديث جابر بلفظ : واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (١٩٩٦) كتاب البر والصلة .

(يكثر الهرج) : أي يفشو ويشيع أمره ، والهرج بفتح الهاء ، وراء ساكنة ، هو القتل كما فسره النبي ﷺ أي يكثر بينكم القتل ، بسبب النزاعات والحروب ، وهذا حاصل في زماننا هذا ، من تقاتل المسلمين بينهم أو مع غيرهم ، وسقوط كثير من القتلى في هذه الحروب ، والله أعلم .

(فتن كقطع الليل المظلم)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بادروا بالأعمال ، فتنا ، كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ، ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا . (رواه أحمد ٢/ ٣٠٤ ومسلم ١/ ٧٦ والترمذي ٢١٩٥ ـ ٢١٩٨) .

قال النووي : معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصاحلة ، قبل تعذرها ، والاشتغال بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة ، كتراكم ظلام الليل

المظلم لا المقمر ، وقد وصف رسول الله ﷺ نوعا من شدائد تلك الفتن ، وهو أن يمسي مؤمنا ، ثم يصبح كافرا ، أو عكسه ، وهذا لعظم الفتن ، ينقلب الانسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب والله أعلم . أ هـ . قال المباركفوري : وحاصل المعنى تعجلوا بالأعمال الصالحة ، قبل مجيء الفتن المظلمة ، من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين ، فإنكم لاتطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها ، والمراد من التشبيه بيان حال الفتن ، من حيث أنه شيء فظيع ، ولايعرف سببها ، ولا طريق الخلاص منها ، فالمبادرة : المسارعة بادراك الشيء ، قبل فواته ، أو بدفعه قبل وقوعه أ هـ . (التحفة ٣/٢٢١) . وقال الصديقي : إن المراد بالاصباح والامساء : تقلب الناس فيها وقتا دون وقت ، بخصوص الزمانين ، فكأنه كناية عن تردد أحوالهم ، وتذبذب أقوالهم ، وتنوع أفعالهم من عهد ونقض ، وأمانة وخيانة ، ومعروف ومنكر ، وسنة وبدعة ، وإيمان وكفر . أ هـ . (عون المعبود ٤/١٦٢) . وعن الحسن البصري رحمه الله أنه كان يقول في هذا الحديث : يصبح الرجل محرما لدم أخيه وعرضه وماله ، ويمسي مستحلا

له ، ويمسي محرما لدم أخيه وعرضه وماله ، ويصبح مستحلا له . (رواه الترمذي ٢١٩٨) . وأما قوله (يبيع دينه بعرض من الدنيا ـ وفي رواية الترمذي ـ زاد : بعرض من الدنيا قليل) : أي بمتاع من الدنيا قليل ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ وفيه بيان ما سيؤول إليه حال المسلمين ، من تركهم دينهم والتخلي عن تعاليم ربهم ، والتفريط بحقوق الله الواجبة عليهم ، كل ذلك لأجل أن يصلوا إلى متاع قليل من أمتعة الدنيا الفانية ، كالحصول على المال ، والوصول إلى المناصب ، والالتحاق بالوظائف التي تشغله عن طاعة الله ، والقيام بما أوجب عليه ، فيستحق على ذلك غضب الله ومقته .

(تعظيم شأن الفتن)

عن أم سلمة رضي الله عنهما عنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعا ، يقول : سبحان الله ، ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات ـ يريد أزواجه ـ لكي يصلين ؟ فرب كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة . (رواه أحمد

(٦/٢٩٧) والبخاري (٩/٦٢) والترمذي (٢١٩٦) .

قـال القسطلاني: وكـأنه ﷺ رأى في المنـام ، أنه سيقع بعده فتن ، وتفتح لهم الخزائن ، أو أوحى الله تعالى إليه ذلـك قبـل النـوم ، فعبـر عنـه بـالانـزال ، وهـو من المعجزات ، فقد فتحت خزائن فارس والروم وغيرها ، كـما أخبر عليـه الصلاة والسـلام . (أيقظوا صـواحب الحجرات) أي نبهوا صاحبات الحجـرات ، ويعني بهن أزواجه ﷺ ، وخصهن لأنهن الحاضرات حينئذ . (فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) أي كم من كاسية لابسة الثياب لوجود الغني ، لكنها عارية في الآخرة من الثواب ، لعدم العمل في الدنيا ، أو كاسية بالثياب الشفـافة التي لاتستر العورة عارية في الآخرة جزاء على ذلك ، أو كاسية من نعم الله ، عارية من الشكـر الذي تـظهر ثمـرته في الآخرة بالثواب ، أو كاسيـة من خلعة التـزوج بالـرجل الصالح . عارية في الآخرة من العمل . لاينفعها صلاح زوجهـا ، وهذا وإن ورد في أمهـات المؤمنين ، فـالعبرة بـعمـوم الـلفظ . أ هـ (ارشـاد السـاري ١/٢٠٨ - ١٠/١٧٦) وانظر أيضا (فتح الباري ١٣/٢٣) قال ابن

بطال : في هذا الحديث أن الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال ، بأن يتنافس فيه ، فيقع القتـال بسببه ، وأن يبخل به ، فيمنع الحق ويبطر صاحبه ، فيسرف فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله ، وكذا غيرهن ممن يبلغه أ. هـ (فتح الباري ١٣ / ٢٣) .

وقوع الفتن كالظلل)

عن كرز الخزاعي رضي الله عنه : قال قال أعرابي : يا رسول الله ، هل للاسلام من منتهى ؟ قال : نعم . من يرد الله به خيرا من عرب أو عجم ، أدخله عليه . قال : ثم ماذا يا رسول الله ؟ قال : ثم تقع الفتن كالـظلل . قال : كلا والله يارسول الله . قال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسي بيده ، لتعودن فيها أساود صبا ، يضـرب بعضكم رقاب بعض ، فخير الناس يومئذ : مؤمن معتزل في شعب من الشعـاب ، يتقي الله ، ويـذر النـاس من شـره . (رواه أحمـد (٣/ ٤٧٧) وابن حبـان (١٨٧٠) والحاكم (١ / ٣٤ ـ ٤ / ٤٥٤) وصححه ووافقـه الذهبي وقال الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد أحدها رجاله رجال

الصحيح (٣٢١/٧) وأبو نعيم الأصبهاني في الدلائل (٤٨٠) واسناده صحيح) .

قوله (هل للاسلام من منتهى) هو سؤال الأعرابي للنبي ﷺ عن انتهاء العمل بشرائع الاسلام ، وأحكامه وقواعده التي أرساها النبي ﷺ ، وقد أجابه النبي عليه الصلاة والسلام بـ (نعم) أي أن ذلك واقع في الأزمنة المقبلة ، وقوله (ثم تقع الفتن كالظلل) : والظلل جمع ظلة ، شبهت به الفتن لشدة سوادها وكثرتها ، وعظم شأنها ، وأنها تتبع بعضها بعضا ، فهي متراكمة كالظلل ، قوله (أساود صبا) : قال الزهري : أساود صبا : الحية السوداء ، إذا أرادت أن تنهش ، ارتفعت هكذا ، ثم انصبت وقال القرطبي : الأساود : جمع أسود وهو الحية ، وصبا جمع صاب كغاز وغزا ، وهو الذي يميل ويلتوي وقت النهش ليكون أنكى في اللدغ وأشد صبا للسم (انظر التذكرة له (٦٢٥) . وقوله (يضرب بعضكم رقاب بعض) : أي يستحل بعضكم دماءبعض،فيكون القتل وقد وقع من هذا الكثير من تقاتل المسلمين فيما بينهم ، ودوران الحروب الى يومنا هذا في كل الأقطار الاسلامية ،

وما ظهر في هذه الحروب من شجاعة المسلمين على بعضهم البعض ، وهم في نفس الوقت ، أذلاء وجبناء أمام أعدائهم الكفار ممن يستعمرون بلادهم ، والله المستعان .

(بين يدي الساعة أيام الهرج)

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أن رجلا قال له : يا أبا سليمان ، اتق الله ، فإن الفتن قد ظهرت . قال : فقلت : أما وابن الخطاب حي فلا . إنما تكون بعده ، فينظر الرجل ، فيتفكر هل يجد مكانا لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو فيه من الفتنة والشر ؟ فلا يجده . فقال : وتلك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة أيام الهرج . فنعوذ بالله أن تدركنا وإياكم تلك الأيام . (رواه الامام أحمد في مسنده (٤/ ٩٠) والطبراني في الكبير (٤/ ١٣٧) وحسن اسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٥) ورواه يعقوب الفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) وانظر صحيح الجامع ٢٨٤٩) .

وفي الحديث تفسير لأيام الهرج التي أخبر عنها الرسول ﷺ البلايا والأمور العظام والفتن كالقتل والنهب والسلب ، وغيره ، تعم في تلك الايام حتى يبحث الرجل عن ملجأ من ذلك ، ويفكر بالخلاص والنجاة من هذه الفتن والشرور ، فلايجد مكانا الا وفيه مثل ماهو من الفتنة والشر ، وهذا في غاية التحذير من الفتن والبلايا ، في كون أنها تعم أنحاء المعمورة ، مع اتحاد زمانها ، لذا قال خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد هذا الحديث : نعوذ بالله أن تدركنا واياكم تلك الأيام ، وذلك لعظم المصائب فيها .

(بادروا بالموت ستا)

عن عابس الغفاري رضي الله عنه قال : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : بادروا بالأعمال ستا : إمرة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، يقدمونه، يغنيهم وان كان أقل منهم فقها. (رواه أحمد (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) . والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤ ـ

٣٧) . وله شاهد من حديث عوف بن مالك رواه أحمد أيضا (٦/ ٢٢) وسكت عليه الحافظ في الفتح (١٠/ ١٢٨) .

قوله (بادروا بالأعمال) أي سارعوا بطلب الأعمال، قبل نزول هذه الأمور الست بكم، لأن مجيئها قد يفسد دينكم ، ويصيبكم بالخسران الدنيوي والآخروي . قوله (إمرة السفهاء) : أي حكم الصبية السفهاء ، قليلي الخبرة والتجربة ، وحديثي السن ، مما ينقصهم معرفة سياسة الرعية ، ولما فيهم حب الملك والسلطان ، وسفاهة أحلامهم وعقولهم ، فهم يتصرفون على غير هدى ولا بصيرة في أمر دينهم ، فطاعتهم هلاك ، وعصيانهم هلاك ، وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال : إن هلاك أمتي أو فساد أمتي على يدي أغيلمه سفهاء من قريش (رواه أحمد والبخاري والطبراني في الصغير) . قيل : هم خلفاء بني أمية يزيد ومن بعده . قال في الفتح : وفي رواية ابن أبي شيبة أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول : اللهم لا تدركني سنة ستين ، ولا امارة الصبيان . وفي هذا اشارة إلى أن أول

الأغيلمة كان في سنة ستين ، وهو كذلك ، فان يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي الى سنة أربع وستين فمات ، ثم ولي ولده معاوية ومات بعد أشهر . أهـ . (الفتح ١٣/ ١٠) .

قوله (كثرة الشرط) : هم أعوان الأمير أو الوالي ، يكثر عددهم في الممالك ، وهم مانسميهم اليوم بالشرطة ، وقد بينت بعض ذلك في الحديث عن فتنة الولاة والأئمة المضلين ، فراجعه .

وقوله (بيع الحكم) : أي انتشار الرشوة ، والتلاعب في الأحكام ، مما يدل على رداءةالأحوال، وسوء الأفعال ، من ظهور الغبن وانتشار الظلم ، وهذا منه كثير واقع في بلاد الاسلام اليوم ، من قبول الرشوة ونحوها ، والله أعلم . وقوله (استخفافا بالدم) : أي استحلال المسلمين لدماء بعضهم ، فيقع القتل والبغي بينهم لأدنى الأسباب وأتفهها ، وقد بين الله تعالى عظم نفس المؤمن ومقدار حرمة دمه ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذابا عظيما** ﴾ . وقوله (وقطيعة

الرحم) : أي عدم تواصل الأقارب فيما بينهم وهجرهم لبعض مددا طويلة ، لما ينشأ من خصومات بينهم ، أو معاداة ، أو لانشغالهم في طلب الدنيا فتتفكك الروابط الاجتماعية بين المسلمين ، فتختلط الأنساب ، وتنسى الأسماء والمعارف . وقوله (نشوا يتخذون القرآن مزامير . . . الخ) : أي يجعلونه بينهم في السماع كالتطريب والألحان في المزامير ، لايستمعون إلى معانيه ، لتلقي العبرة ، وطلب الثواب بقراءته من الله ، بل إن قلوبهم لاهية ، وحواسهم بعيدة عن تدبر آياته ، وإحساسهم منصب على حب التذوق بالسماع فقط ، حتى يكون الأمر أنهم يقدمون أحسنهم صوتا ، وأجملهم قراءة ، ليصلي بهم ، وان كان أقلهم فقها ، فهو لا يتجاوز حناجرهم ، يقرؤنه بألسنتهم ، ولا يعونه بقلوبهم ، ويؤيده حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ينشو نشو يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع ، كلما خرج قرن قطع ، حتى يخرج في أعراضهم الدجال . (رواه ابن ماجه وحسنه المحدث الألباني في صحيح الجامع ٨٠٢٧) .

(سيصيب آخر هذه الأمة
بلاء وفتن)

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من يتنضل ، ومنّا من هو في جشره ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة يرقّق بعضها بعضا ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله وباليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماما ، فأعطاه صفقة

يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر . (رواه أحمد (٢/ ١٦١ - ١٩١) ومسلم (٦/ ١٨) والنسائي (٧/ ١٥٣) .

قوله (يصلح خباءه) : والخباء هو بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة ، وقوله (ينتضل) : من المناضلة وهي المسابقة في الرمي ، وقوله (جشرة) : والجشر بفتح الجيم والشين ، هو الماشية ترعى في مكانها ، لاتئوب إلى أهلها ، وتبقى في مكان رعيها ، والحديث فيه بيان أن الأنبياء يبلغون أممهم بما يعلمونه من ربهم ، سواء أكان خيرا أم شرا ، وقوله (وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها) : أي خلاصها عما يضر في الدين كان في أولها ، وذلك أن الدين وشرائعه مقامة بين الناس ، فلا تضليل ولا انحراف ، والكلمة واحدة على الخير والصلاح ، وقوله (وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها) : أي أن المنكرات والبلايا ستكون في آخر هذه الأمة ، لسوء أحوال الناس يومئذ ، ودناءة أفعالهم ، وذلك لابتعادهم عن التمسك بشرائع دينهم وسنن نبيّهم ﷺ ، فتحل عليهم يومئذ المصائب والفتن

عقوبة لهم ، وقوله (وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضا) : قيل : يشبه بعضها بعضا ، وقيل : يدور بعضها في بعض ، ويذهب ويجيء ، وقيل معناه : يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها ، (فيقول المؤمن هذه هذه) : أي لكثرة الفتن ، يظن المؤمن أنه سيموت في التي هو فيها ، وقوله (وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه) : أي عليه أن يتعامل مع الناس بمثل ما يحب هو أن يعامل به ، وهذه قاعدة حسنة من قواعد الآداب في الإسلام ، قد حثّ عليه النبي ﷺ وكما في الحديث : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[١٩] . وقوله (فليطعه إن استطاع) : أي الإمام الذي بايعه ، وأعطاه العهد على ذلك ، ولا ينكث البيعة ، ولا يعصيه في شيء يأمره به إلا أن يكون معصية ، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنّا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، فيقول لنا : فيما استطعت[٢٠] . وقوله (فإن جاء آخر ينازعه) : أي يطلب البيعة مع من بويع ،

---

(١٩) اتفق عليه الشيخان اللؤلؤ والمرجان (٢٨)

(٢٠) اتفق عليه الشيخان (١٢٢٢)

(فاضربوا عنقه): أي اقتلوه ، إن لم يرجع في دعواه ، لأن بيعته باطلة ، ينشأ عنها افتراق الناس ، وإنقسام الكلمة بين المسلمين ، وورد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه في النبي ﷺ قال : إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما[٢١] .

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة ـ وفي رواية ـ إن ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة . (رواه ابن المبارك في كتاب الزهد (٥٩٦) وأحمد (٤/ ٩٤) وابن ماجه (٤١٩٩) والدولابي في الكنى (٢/ ٧٠) وصححه ابن حبان (زوائد ١٨٢٨) واسناده قوي ويشهد له الحديث السابق) .

---

(٢١) رواه مسلم (مختصره ١٢٠٠)

(فتن كرياح الصيف)

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال : والله إني لأعلم الناس ، بكل فتنة هي كائنة ، فيهما بين يدي الساعة ، ومابي إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن ، فقال وهو يعد الفتن : منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ، ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ، ومنها كبار . (رواه مسلم ١٣٨/٨ ورواه أحمد ٣٨٨/٥ ـ ٤٠٧) .

قوله (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة) : فيه اختصاص حذيفة رضي الله عنه بهذا فقد خصه النبي ﷺ بذلك ، لما رآه من حرصه على السؤال عن معرفة الشر ، والذي تكون الفتن منه ، وقيل في ذلك : أنه هو الوحيد الذي يعلم الفتن ، لكون الذين سمعوا معه قد ماتوا ، وبقي هو حيّ من دونهم ، فلاأحد ممن يعايشونه ،

يعرف الذي سمع ، وإن كان من الصحابة ، وبدليل قوله في آخر الحديث : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري ، ومما يؤيد ذلك أيضا ، أنه في يوم الجرعة [٢٢] نفى حذيفة رضي الله عنه وقوع القتال بين المسلمين ، واعترض على الصحابي جندب بن عبد الله رضي الله عنه حين قال : ليهرقن اليوم ههنا دماء . فقال : كلا ، والله . قال جندب : بلى والله . فقال حذيفة : كلا ، والله . وقال جندب : بلى والله . فقال حذيفة : كلا ، والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه .[٢٣] قوله (لايكدن يذرن شيئا) : أي لا يبقين شيئا ، يقال : وذرت الريح التراب ، أي أطارته وفرقته ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر** ﴾ . وقوله (كرياح الصيف) : وذلك لتفاوت زمنها ، وسرعة مجيئها ،

---

(٢٢) يوم الجرعة : يوم خرج فيه أهل الكوفة الى مكان يسمى الجرعة قريب من الكوفة ، وذلك حين قدم عليهم سعيد بن العاص واليا من قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فردوه ، وطالبوا عثمان أن يعين عليهم أبو موسى الأشعري ، فولاه عليهم . (معجم البلدان : ٢/١٢٨) .

(٢٣) رواه مسلم (انظر مختصر صحيح مسلم رقم ١٩٩٦) .

وذهـابها ، وكـذلك التفـاوت في الشـدة ، والآثـار التي تحدثها ، والله اعلم .

(فتن كموج البحر)

عن حذيفة رضي اللهعنه قال : كنـا عند عمـر بن الخـطاب رضي الله عنه ، فقـال : أيكم سمـع رسـول الله ﷺ يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله ، وماله وجاره ؟ قالوا : أجل . قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر التي تموج كموج البحـر ؟ قال حـذيفة : فسكـت القوم ، فقلت : أنـا . قـال : أنت لله أبوك ؟ قـال حـذيفـة : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : تعرض الفتن كالحصير ، عـودا عودا ، فأي قلب أشربهـا ، نكت فيه نكتـة سوداء ، وأي قلب أنكرها ، نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين : على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر : أسود مـربادا ، كـالكوز مجخيـا ،

لايعرف معروفا ، ولا ينكر منكـرا ، إلا ما أشـرب من هواه ، قال حذيفة : وحدثته ـ أي عمر ـ أن بينك وبينها بابا مغلقا ، يوشك أن يكسر ، قال عمر : أكسراً ، لا أبـا لك ؟ فلو أنه فتح لعله كان يعاد . قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته : أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت ، حديثا ليس بالأغاليط . وعند مسلم ـ قال أبـو خالـد : فقلت لسعيد : يا أبا مالك ، ما أسود مربادا ؟ فقال : شدة البياض في سواد . قال : قلت فما الكوز مجخيًّـا ؟ قال : منكوسا .ـ وعند البخاري ـ قلنا لحذيفة ـ القائل الراوي : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غـد ليلة ، وذلـك أني حـدثته حـديثا ليس بالأغاليط . قال : فهبنا أن نسـأله من البـاب ، فأمـرنا مسروقا ، فسأله ؟ فقـال : من الباب ؟ قـال : عمر . (متفق عليه باللفظ الأول اللؤلؤ والمرجان (٨٨) وانفـرد مسلم ١ / ٨٩ ـ ٩٠ بقوله : تعرض الفتن . . . الى : ما أشرب من هواه) . قوله (التي تموج كموج البحر) : أي الفتنة ، التي شبهها بموج البحر الذي يدفع بعضه بعض ، وقوله (فأي قلب أشربها) : أي تقبلها ، ولم ينكرها ،

وقوله (نكت فيه نكتة سوداء) : والنكتة هي العلامة ، أو النقطة . وقوله (حتى يصير على قلبين) : أي ينقسم الناس إلى مؤمن حقيقي ، إيمانه في قلبه ناصع لاشيء فيه من الآثام ، والذنوب ، وفي المقابل يأتي قلب الفاجر أو المنافق ، الذي يكون قلبه أسود وعمله مختلط فيه الإثم ، والفسق ، لذا قال (أسود مربادا) : أي كما فسره الراوي : شدة البياض في سواد ، أي يختلط العمل الصالح بالعمل السيء ، وإيمانه بنفاقه ، (كالكوز مجخيّا) : والكوز ، هو الاناء الذي يشرب به الماء ، وله عروة ، أي أن قلب هذا كالاناء المنكوس ، الذي يستحيل ملؤه بالماء ، فكذلك قلب هذا ، يستحيل تقبله للنصيحة والموعظة ، فهو جاف ، لا ينكر المنكر ، ولا يعرف المعروف ، ولا يتبع الحق الذي يوعظ به ، إلا ماكان موافقا لهواه وشهوته ، فهو يأخذ به ، ليس خوفا من الله ، بل لأنه يوافق هواه . وقوله (أن بينك وبينها بابا مغلقا) : قيل هو حياة عمر رضي الله عنه ، كما فسّره حذيفة في آخر الحديث ، وقد وقعت الفتن ، والاختلافات بين الناس بعد وفاة عمر رضي الله عنه ، وعمت البلايا ، جميع أنحاء الدنيا ، وقوله (ليس

بالأغاليط) : والأغاليط جمع أغلوطة وهي ما يغالط به من الكلام أي أن هذا الحـديث ثبت عن رسول الله ﷺ ، ويمكن أن يقال بأن هذا كان متعارفا عليه بين الصحابة ، في كون أن عمر هو الحائل بين الناس وبين ظهور الفتن ، فقد تابع حذيفـة على ذلـك بعض الصحابـة كأبي ذر ، وعثمان بن مظعون وخالد بن الوليد ، وقد مر حديثه ، وفيـه قولـه : أما وابن الخـطاب حي فـلا ، وسيـأتي في الحديث الآتي معنى هذا الحديث . والله أعلم .

(فتنة الاحلاس ثم السراء ثم الدهيماء)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا قعودا عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن ، فأكثر في ذكرها ، حتى ذكر فتنة الأحلاس . فقال قائل : يارسول الله ، وما فتنة الأحلاس ؟ قال : فتنة حرب وهرب ، ثم فتنة السراء ، دخنهـا من تحت قدمي رجـل من أهل بيتي ، يـزعـم أنه مني ، وإنمـا أوليائي المتقـون . ثم يصطلح النـاس على

رجل ، كورك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء ، لاتدع أحدا من هذه الأمة ، إلا لطمته ، حتى إذا قيل : انقطعت ، تمادت ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويمسي كافرا ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذاكم ، فانتظروا الدجال من يومه ، أو غده . (رواه أحمد ٢ / ١٣٣ وأبو داود ٢ / ٢٠٠ والحاكم ٤ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧ وصححه ووافقه الذهبي وانظر صحيح الجامع ٤٠٧٠) .

قوله (الأحلاس) قال في النهاية : جمع حلس ، وهوالكساء الذي يلي ظهر البعير ، تحت القتب ، شبهها به ، للزومها ودوامها . أهـ. وقال الخطابي : إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس ، لدوامها وطول لبثها ، ولسواد لونها ، وظلمتها . أ.هـ. وقوله (هرب) بفتحتين، أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العدواة والمحاربة . وقوله (حرب) بالتحريك نهب مال الانسان ، وتكره لاشيء له . وقال الخطابي : الحرب ، ذهاب المال والأهل . وقوله (السراء) : قال القاري : المراد بالسراء ، النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء

والعافية من البلاء والوباء ، وأضيفت الى السراء ، لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي ، بسبب كثرة التنعم ، أو لأنها تسر العدو . أهـ. وقوله (دخنها) : يعني ظهورها واثارتها ، شبهها بالدخان المرتفع ، وقوله (من تحت قدمي رجل من أهل بيتي) تنبيها على أنه هو الذي يسعى إلى إثارتها ، أو إلى أنه يملك أمرها ، وقوله (يزعم أنه مني) : أي في الفعل ، وإن كان مني في النسب والحاصل أن تلك الفتنة بسببه ، وأنه باعث على اقامتها ، وقوله (وليس مني) : أي من أخلائي : أو من أهلي في الفعل ، لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾ أو ليس من أوليائي في الحقيقة، ويؤيده قوله: (إنما أوليائي المتقون) ، وقوله (ثم يصطلح الناس على الرجل) أي يجتمعون على بيعة رجل ، وقوله (كورك على ضلع) قال الخطابي : هو مثل ومعناه : الأمر الذي لايثبت ولا يستقيم ، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ، وبالجملة يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ، ولا مستقل به . أهـ. قال القاري : هذا مثل والمراد أنه لايكون على ثبات ، لأن الورك لثقله ، لايثبت على

الضلع ، لدقته ، والمعنى : أن يكون غير أهل الولاية ، لقلة علمه ، وخفة رأيه . أهـ. وقوله (فتنة الـدهيماء) وهي بضم الـدال وفتح الهـاء ، والدهمـاء : السوداء ، والتصغير للذم ، أي الفتنة العظماء والطاقة العمياء . قال القاري : وفي النهاية : هي تصغير الدهماء ، يريد الفتنة المظلمة ، والتصغير فيها للتعـظيم ، وهو معـروف في كلام العرب ، من تصغير الشيء للدلالة على عظمـه ، وكبر شأنه وقيل أراد بالدهيماء الداهية ، ومن أسمائها الدهيم ، زعموا أن الدهيم اسم ناقة ، كان غزا عليها سبعة أخوة ، فقتلوا عن آخرهم ، وحملوا عليها ، حتى رجعت بهم ، فصارت مثلا في كل داهية ، وقوله (لاتدع أحدا من هذه الأمة الا لطمته لطمـة) أي لاتترك تلك الفتنة ، أحدا إلا أصابته بمحنة ، ومسته ببلية ، وأصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف ، والمراد أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ، ويصل لكل أحد من ضررها .
قلت : وكأن هذه الفتنة المشار إليهـا ، هي التي ذكرهـا الإمام البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه حين قال له النبي ﷺ : يا عوف اعدد ستا بين يدي السـاعة : فـذكر منهـا : ثم فتنة لا يبقى بيت

من العرب إلا دخلته . . الحديث بتمامه ذكرته في (علامات الساعة ص ١٧) . وقوله (فإذا قيل : انقطعت ، تمادت) أي مهما توهموا أن تلك الفتنة انتهت ، استطالت ، واستمرت ، واستقرت ، قاله القاري . وقوله (فسطاط ايمان) : والفسطاط بضم الفاء : المدينة التي يجتمع فيها الناس وكل مدينة فسطاط . وهذا القسم الأول وهو المؤمن الخالص ، كما وقع الاشارة إليه في الحديث الذي قبل هذا ، بقوله (فلا تضره فتنة مادامت السموات والارض) والقسم الآخر ، الذي هو (فسطاط نفاق لا إيمان فيه) أي أصلا وكمالا ، لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ، ونقض العهد وأمثال ذلك ، وهو المشار إليه أيضا في الحديث السابق بقوله (لا يعرف معروفا ولاينكر منكرا ، إلا ما أشرب من هواه) . وقوله (فانتظروا الدجال) وهو من أعظم الفتن ، التي حذّر منها النبي ﷺ أمته ، وقد أشرنا إلى هذه الفتنة في كتاب (علامات الساعة ص ٤١) . والمراد من الحديث أي انتظروا وتوقعوا قرب ظهوره بعد تلك العلامة . أهـ . (بتصرف من كتاب عون المعبود

للصديقي ٤/١٥٢ ـ ١٥٣) .

(رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام لأماكن الفتن)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أشرف على أطم من أطام المدينة ثم قال : هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم ، كمواقع القطر . (رواه أحمد (٥/٢٠٠) واتفق عليه الشيخان ١٨٣٢) .

قوله (أشرف) أي أطل من مكان مرتفع ، وقوله (أطام) جمع أطم بضمتين ، وهي الحصون التي تبنى بالحجارة ، وقيل : هو كل بيت مربع مسطح ، وقوله (أني لأرى) قيل هي بمعنى العلم ، أي أنه أخبر بها ، وقيل : رؤية عين ، بأن تكون مثّلت له حتى رآها ، كما مثلت له الجنة والنار في القبلة ، حتى رآهما وهو يصلي . وقوله (مواقع القطر) بفتح القاف وطاء ساكنة ، وهو مواضع نزول المطر وسقوطه . قال النووي : والتشبيه

بمواقع القطر في الكثرة ، والعموم ، أي أنها كثيرة ، تعم الناس ، لا تختص بها طائفة ، وهذا اشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرة ، ومقتل عثمان رضي الله عنه وغير ذلك ، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ .
أهـ. كلام النووي رحمه الله .

(إخباره ﷺ بالفتنة
والقتال بين أصحابه)

عن أبي هريرة رضي الله عنـه عن النبي ﷺ قال : لاتقوم الساعة ، حتى يقتتل فئتان ، فيكون بينهـما مقتلة عـظيمـة دعـواهمـا واحـــدة . (اتفق عليـه الشيخـــان ١٨٣٥) .

الحديث فيه اخبار النبي ﷺ بوقوع المقتلة العظيمة بين الصحابـة رضوان الله عليهم ، جيش عـلي وجيش معاوية ، وأن كلا الطائفتين تدعوان إلى الإسلام ، وفيه رد على الذين كفّروا الصحابة ممن اشتركـوا في القتال ، لأنه قال : دعواهما واحدة . ويشهد له قوله تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ فسماهما من المؤمنين ، بالرغم من أنهما تتقاتلان ، ولايمنع ذلك من أن نقول بأن الحق مع علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ،

ويشهد له الأحاديث الصحيحة ، والتي من أشهرها حديث: تقتل عمارا الفئة الباغية[٢٤] . وعمار رضي الله عنه كان مع فريق علي ، كما أن ذلك لايلزم الطعن في الفريق الآخر ، لعدم اتضاح الأمر ، أو معرفة المصيب من المخطيء ، لأن القتال وقع على تأويل ، ولم يكن على إصرار ، أو رغبة في نصر الباطل ، والله أعلم . قال النووي : وأعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ، ليست بداخلةٍ في هذا الوعيد ، ومذهب أهل السنة والحق ، احسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، وتأويل قتالهم ، وأنهم مجتهدون ، متأولون ، لم يقصدوا معصية ولامحض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ، ومخالفه باغ ، فوجب عليه قتاله ، ليرجع الى أمر الله ، وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ ، لأنه باجتهاد ، والمجتهد اذا اخطأ لا إثم عليه ، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب ، وهذا مذهب أهل السنة ، وكانت القضايا متشابهة ، حتى إن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم

(٢٤) حديث مشهور متواتر نقل عن جماعة من الصحابة ، انظر السلسلة للألباني (٧١٠) .

تحيروا فيها ، فاعتزلوا الطائفتين ، ولم يقاتلوا ، ولو تيقنوا الصواب،لم يتأخروا عن مساعدته رضي الله عنهم. أهـ.

وقد روى أبو داود عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة ، فعظم أمرها ، فقلنا : يا رسول الله ، لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : كلا ، إن بحسبكم القتل[٢٥] . قال المباركفوري : ومعنى هذه الجملة : أن هذه الفتنة لو أدركتكم ، ليكفيكم فيها القتل ، أي كونكم مقتولين ، والضرر الذي يحصل منها ليس إلا القتل ، وأما هلاك عاقبتكم ، فكلا ، بل يرحم الله عليكم هناك ويغفر لكم ، والله تعالى أعلم .[٢٦]

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وهو يقول : يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقا . قالت : فلما جلس ، قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك ، لقد دخلت وأنت تقول كلاما ذعرني . قال : وما

---

(٢٥) رواه أبو داود (٢/٢٠٦) واحمد (١/١٨٩) باسناد رجاله ثقات وصححه الالباني في صحيح الجامع (٢٨١٣) .

(٢٦) تحفة الأحوذي (٣/١٦٩) .

هو؟ قلت : تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقا . قال : نعم . قلت : ومم ذاك ؟ قال : تستحيلهم المنايا ، وتنفس عليهم أمتهم . قالت : فقلت : فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك ؟ قال : دبى يأكل شداده ضعافه ، حتى تقوم الساعة ، والدبى : الجنادب التي لم تنبت أجنحتها . (رواه الامام أحمد في مسنده (٦ / ٨١ - ٩٠) وصححه المحدث الألباني في السلسلة (١٩٥٣) .

قوله (قومك أسرع أمتي بي لحاقا) هم قريش ، أي أول من يلحق به بعد موته ، ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أسرع قبائل العرب فناء : قريش ، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول : هذه نعل قرشي . (رواه أحمد واسناده صحيح رجاله رجال مسلم (٢ / ٣٣٦) وانظر السلسلة للألباني (٧٣٨) . وقوله (تستحيلهم المنايا) : بمعنى تتكالب عليهم الأقدار ، والأحداث ، فتقضي عليهم ، وقوله (تنفس عليهم أمتهم) : أي تضن عليهم الأمة وتبخل عليهم بحقوقهم ، من موقع الحسد لهم ، وهو مأخوذ من

نفس عليه بالشيء بالكسر : ضنّ به ولم يره يستأهله ، كما في اللسان ، قوله (دبى يأكل شداده ضعافه) : أي حال الناس بعد ذهاب الأخيار ، وأهل السبق فيهم ، يكون كالدبى وهو مافسره الراوي بالجنادب التي لم تنبت أجنحتها ، وقيل الدبى : أصغر مايكون من الجراد والنمل وهو بعد السرو . وهذا واقع منذ زمان في تسلط الأقوياء على من هو أضعف منهم ، سواء فرادى أو جماعات أو دول وهكذا حتى قيام الساعة .

عن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ، فجاء رجل فقال : يا نبي الله هل أتيت بطعام من السماء ؟ فقال : نعم ، أتيت بطعام مسخنة ، قال : فهل كان فيه فضل عنك ؟ قال : نعم . قال : فما فعل به ؟ قال : رفع إلى السماء ، وهو يوحي اليّ أنني مكفوت ، غير لابث فيكم إلا قليلا ، ولستم لابثين بعدي إلا قليلا ، بل تلبثون ، حتى تقولوا : حتى متى ؟ وستأتون أفنادا يفني بعضكم بعضا ، وبين يدي الساعة موتان شديد ، وبعده سنوات الزلازل . (رواه أحمد (٤/ ١٠٤) والدارمي (١/ ٢٩ ـ ٣٠) ،

والطبراني في الكبير (٧/ ٥٩) وإبن حبان (١٨٦١) والحاكم (٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وصححه على شرطهما ، واسناده صحيح رجاله ثقات شاميون) .

قوله (مسخنة) : هي قدر كالتور يسخن بها الطعام ، وقوله (مكفوت) : أي مقبوض ، وقوله (أفنادا) : أي جماعات ، متفرقين ، قوما بعد قوم ، وقال أبو منصور ، معناه أنهم يصيرون فرقا مختلفين ، يقتل بعضهم بعضا . كذا في لسان العرب . وهو بمعنى أنهم يتعرضون للقتل الجماعي ، عن طريق ما ينشأ من حروب واقتتال بينهم ، وقد وقع ذلك في حروبهم وقتالهم فيما بينهم ، كصفين والجمل والحرة وغيرها . وقوله (موتان شديد) : بضم الميم ، أي الموت الكثير ، وروى البخاري وغيره من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام : ثم موتان يأخذ الناس كعقاص الغنم . وهو المرض الذي يصيب الغنم ، ما تلبث أن تموت ، ذكره لشدة فتكه ، وسرعة انتشاره ، وقيل أن هذه العلامة قد وقعت في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو بما يسمى بطاعون

عمواس ، حيث هلك فيه ناس كثيرون لا يحصون ، والله أعلم . وقوله (سنوات الزلازل) : أي ما تبقى من عمر الدنيا وسنيها ، سيكون فيه ظهور الزلازل ، وكثرتها بالنسبة لما مضى ، وقد ذكر البرزنجي في كتاب الاشاعة (٥٠-٥١) ماوقع من حوادث الزلازل العظيمة فراجعه ان شئت ، نسأل الله النجاة والسلامة في كل الأحوال .

(اخباره ﷺ بما يكون
إلى قيام الساعة)

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ قائما ، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه ، فحفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابه هؤلاء ، وأنه ليكون منه الشيء ، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم اذا رآه عرفه . (اتفق عليه الشيخان (١٨٣٦) واللفظ لأبي داود (٢ / ٢٠٠) وقد استدركه الحاكم في مستدركه (٤ / ٤٧٢ ـ ٤٨٧) ووهم بذلك) .

في هذا الحديث دلالة على أن النبي ﷺ قد أعذر عنه ربه في إبلاغ أمته ، بما أطلعه الله عليه من الغيب ، وأخبار الحوادث المستقبلة ، وأنه ﷺ ماترك شيئا ينبغي أن يخبر به ، إلا أخبر عنه ، كالفتن والحوادث المستقبلة الى قيام الساعة ، ويؤيده حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : تركنا

رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علما ، فقال رسول الله ﷺ : ما بقي شيء يقرب من الجنة ، ويباعد من النار إلا وقد بين لكم (رواه الطبراني (١٦٤٧) وقال الألباني : اسناده صحيح ورجاله ثقات (السلسلة ١٨٠٣) وقد أخرجه ابن حبان (زوائد ٧١) دون المرفوع وأخرجه أحمد (٥/ ١٥٣) وفي اسناد أحمد جهالة) قال العلامة الصديقي : وقد استدل بهذا الحديث بعض أهل البدع والأهواء على اثبات الغيب لرسول الله ﷺ ، وهذا جهل من هؤلاء ، لأن علم الغيب مختص بالله تعالى ، وما وقع منه على لسان رسول الله ﷺ فمن الله بوحي ، والشاهد لهذا قوله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا . إلا من ارتضى من رسول** ﴾ أي ليكون معجزة له ، فكل ما ورد عنه ﷺ من الأنباء المثبتة عن الغيوب ، ليس هو إلا من إعلام الله له به إعلاما على ثبوت نبوته ، ودليلا على صدق رسالته ﷺ . أ هـ . (عون المعبود ٤ /١٥١) .

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر ، فخطبنا

حتى حضـر الظهـر ، فنزل فصـلى ، ثم صعد المنبـر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان ، وبمـا هـو كـائن ، فـأعلمنـا أحفـظنـا . (رواه أحمـد (٣٤١/٥) ومسلم (مختصره ١٩٩٥) واستدركه الحاكم (٤٨٧/٤) فوهم بذلك) .

(في هذه الأمة خمس فتن)

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جعلت في هذه الأمة خمس فتن : فتنة عامة ، وفتنة خاصة ، ثم فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة ، ثم تأتي الفتنة العمياء الصماء المطبقة ، التي يصير الناس فيها كالأنعام . (رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٢٠) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ٤٣٧) وقال البوصيري : رواه اسحاق ورواته ثقات (المطالب ٤٤٢٩) وفي روايته : جعل الله في هذه الأمة خمس فتن ، فبدأ بالخاصة ثم العامة ثم الخاصة ثم العامة ثم ذكر الخامسة بلفظ : ثم تجيء فتنة سوداء مظلمة ، فيصير فيها الناس كالبهائم - وفي رواية ابن أبي شيبة كمافي الفتح (١٣/ ٤٩) قال : ثم فتنة تموج كموج البحر ، وهي التي يصبح الناس فيها كالبهائم . وهذا الحديث مثله لايقال بالرأي ، فهومن باب المرفوع ، وإن لم يرفعه الصحابي لأن ذلك من مسائل الاخبار التي

لايدخل فيها الاجتهاد . والله أعلم .

وفي الحديث بيان الفتن التي تقع في هذه الأمة ، وأنها تنقسم إلى خاصة وعامة ، تختص بها طائفة من الناس دون أخرى ، وأخرى فتنة عامة ، يصل شرها إلى الجميع ، ويعم بلاؤها إلى ديار المسلمين ، وقوله (يصير الناس فيها كالأنعام) أي أن الأنعام والبهائم لاعقول لها ، فشبههم حينئذ بالأنعام لكونهم لايعقلون في ذلك الزمان ، ولا يسيرون على بصيرة ، بعيدين عن أوامر الله تعالى ، لايملك أكثرهم من أمره شيئا ، كالأنعام المسخّرة ، بيد الراعي ، وفي التنزيل العزيز قوله تعالى : ﴿ **أولئك كالأنعام ، بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ . ولعل الفتنة المشار إليها هي التي سبق أن ذكرناها في الأحاديث الماضية ، وهي فتنة الدهيماء والتي تموج كموج البحر ، وهذه الفتن بمعنى واحد ، وإن اختلفت الألفاظ . والله أعلم .

(قتل الأمة بعضها بعضا)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان

رسول الله ﷺ يحدثنا : أن بين يدي الساعة الهرج . قيل : وما الهرج ؟ قال : الكذب والقتل . قالوا : أكثر مما نقتل الآن ؟ قال : إنه ليس بقتلكم الكفار ، ولكنه قتل بعضكم بعضا ، حتى يقتل الرجل جاره ، ويقتل أخاه ، ويقتل عمه ، ويقتل ابن عمه . قالوا : سبحان الله ، ومعنا عقولنا ؟ قال : لا ، ألا انه ينزع عقول أهل ذاك الزمان ، حتى يحسب أحدكم أنه على شيء ، وليس على شيء . قال أبو موسى : والذي نفس محمد بيده ، لقد خشيت أن تدركني واياكم تلك الأمور ، وما أجد لي ولكم منها مخرجا ، فيما عهد الينا نبيّنا ﷺ ، ألا أن نخرج منها كما دخلناها ، لم نحدث فيها شيء . (رواه أحمد (٤/٣٩١ ـ ٤٠٦) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤/٤٥١ ـ ٥٢٠ ـ ٥٢١) وانظر صحيح الجامع (٢٠٤٣) .

وقد وقع ذلك ، في تقاتل الصحابة بينهم في صفين والجمل ، وانقسامهم بسبب الفتنة إلى فريقين ، وقد كانوا قبل ذلك أخوة وأحبة في الله ، فقتل الأخ أخاه ، وابن عمه ، وجاره الذي كان يساكنه قبل ذلك ، بالرغم من أن

دعوتهم كانت واحـدة ، وجهادهم واحـد ، وصحبتهم واحدة ، ولكن نزغ الشيطان بينهم كما نزغ بين يـوسف واخوته من قبل ، وهذا من معجزات اخبار النبي ﷺ ، فقد وقع ، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، دعواهما واحدة[٢٧] . وقوله (لم نحدث فيها شيئا) : هو قول أبي موسى رضي الله عنه ، ومعناه القتل ، أي أن الذي يدخل في هذه الفتنة لابد أن يحمـل سيفه فيهـا ، سواء أقتل ، أم اشترك في القتل ، لذا امتنع عدد كبير من الصحابة من الدخول في هذه الفتنة ، تخوفا من ذلك ، والذي اشتركوا في القتال ، كان ذلك اجتهادا منهم ، حتى أن منهم من رجع عند بدء القتال ومنهم من أظهر الندم بعـد ذلك . وفي الحـديث إشارة إلى وقـوع القتال بـين المسلمين ، ويظن أحدهم أنه على الحق ، وليس كذلك ، بـل إنها الفتنة العميـاء ، أعمت بصائـرهم ، وانتزعت عقولهم ، فصاروا كالبهائم التي لا تعقل شيئا .

---

(٢٧) وسبق شرحه قبل بابين

(اجتماع الأمم على
الأمة المحمدية)

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها[٢٨] . قيل : يارسول الله ، فمن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يجعل الوهن في قلوبكم ، وينزع الرعب من قلوب عدوكم ، لحبكم الدنيا ، وكراهيتكم الموت . (رواه الطيالسي (٢٧٥٨) وأحمد (٥/٢٧٨) وأبو داود (٤٢٧٩) والطبراني في الكبير (٢/١٠١) باسناد جيد ، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد (٢/٣٥٩) وقال الهيثمي : اسناد أحمد جيد (٧/٢٨٧) .

قال الصديقي : التداعي : الاجتماع ، ودعاء بعض بعضا ، والمراد من الأمم ، فرق الكفر والضلالة ، وقوله (أن تداعى عليكم) أي تتداعى ، بأن يدعو

---

(٢٨) القصعة : هي الاناء الذي يؤكل فيه ، ويثرد . المعجم .

بعضهم بعضا ، لمقاتلتكم ، وكسر شوكتكم ، وسلب ما ملكتموه من الديار ، والأموال ، وقوله (الأكلة) : بوزن طلبة ، وهو جمع آكل ، والمعنى : كما يدعو أكلة الطعام بعضها بعضا ، وقوله (إلى قصعتها) : قال في المجمع : أي يقرب أن فرق الكفر والضلالة أن تداعى عليكم ، أي يدعو بعضهم بعضا إلى الاجتماع لقتالكم ، وكسر شوكتكم ، ليغلبوا على ما ملكتموه من الديار ، كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع ، فيأكلونها صفوا من غير تعب . أهـ. وقوله (فمن قلة نحن يومئذ) : أي ذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ ؟ فيجيبهم (بل أنتم كثير) : أي ليس التداعي لاحقا إلى قلة العدد ، بل أنتم غير ما تظنون ، أنتم كثير ، (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) : والغثاء هو ما يحمله السيل من زبد ووسخ ، شبههم به ، لقلة شجاعتهم ، ودناءة قدرهم ، وهوانهم على غيرهم من الطامعين ، وقوله (ولينزعن المهابة) : أي ليخرجن الخوف والرعب من قلوب عدوكم ، وقوله (وليقذفن الوهن) : أي ليقذفن الله الضعف في قلوبكم ، وكأنه

أراد بالوهن ما يوجبه ، ولذلك فسره بحب الدنيا ، وكراهة الموت ، وقوله (وما الوهن) أي ما موجبه وما سببه ؟ وقوله (حب الدنيا وكراهية الموت) : وهما متلازمان ، فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين . أهـ . (بتصرف من كتاب عون المعبود : ٤/١٨٤ ـ ١٨٥) .

قلت : وما نشهده اليوم ، من ضعف المسلمين ، ووقوعهم تحت سيطرة الاستعمار ، واحاطة قوى الشر والكفر بهم من كل جانب ، وتضييق الخناق عليهم ، ماهو إلا بسبب هذا الضعف ، ولعل المسلمين عامة ، وحكامهم خاصة ، يدركون ذلك جيدا ، وأن سبب هذا الضعف هو ما أخبر به النبي ﷺ ، من حب المسلمين للدنيا ، وكراهيتهم الموت ، والتضحية من أجل دينهم ، نسأل الله تعالى أن يعيد للمسلمين مكانتهم ، وهيبتهم أيام الصدر الأول من العصر الاسلامي ، ويكونوا قادة تخضع لهم الأمم الأخرى ، ويكونوا من أولئك الذين قال الله عنهم ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

(سبب غلبة العدو وتسلّط‍ه)

عن ثوبان (مولى رسول الله ﷺ) قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ، مازوى لي ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ، أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا ، من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وأن ربي قال : يا محمد ، إني اذا قضيت قضاء ، فإنه لايرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضا . (رواه مسلم واللفظ له (١٧١/٨) وأبو داود بزيادات (٢٠٢/٢) والترمذي (٢١٧٦) .

قوله (إن الله زوى لي) : أي جمع الأرض وقبضها ، يقال : انزوى الشيء ، إذا انقبض ، والمعنى أن الله مكّن له الأرض ، حتى رآها أمام عينيه ، وقوله (مشارقها ومغاربها) : قال النووي : فيه ـ أي الحديث ـ إشارة إلى أن ملك هذه الأمة ، يكون معظم امتداده إلى الشرق والغرب ، وهكذا وقع ، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب . أهـ. قلت : إن المراد ليس الجهتين (الشرق والغرب) بل المراد أن الله أراه جميع نواحي الأرض ، فإن كل ناحية منها لها مشرق ومغرب كقوله تعالى : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو ، فاتخذه وكيلا** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ . فإن المراد بذلك الأرض كلها ، وعموم جهاتها ، يحدث فيها شروق الشمس والقمر ، وغروبهما . والله تعالى أعلم . وقوله (وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض) المراد بهما : الذهب والفضة ، لذا قال في النهاية : الأحمر ملك الشام ، والأبيض ملك فارس ، وإنما قال لفارس ، الأبيض ، لبياض ألوانهم ، ولأن الغالب على أموالهم الفضة ، كما أن الغالب على ألوان الشام الحمرة ، وعلى أموالهم الذهب . أ هـ . قال

النووي : المراد بالكنزين : الذهب والفضة ، والمراد كنز كسرى وقيصر ملكي العراق والشام . أهـ. وقد وقع ما أشار إليه النبي ﷺ من استيلاء المسلمين على مملكة الفرس والروم ، وفتحهما من قبل الجيوش الاسلامية ، وذلك في خلافة الراشدين رضي الله عنهم . وقوله (يستبيح بيضتهم) : أي يستحل حوزتهم وحماهم ، ويستأصل شوكتهم ، ويجعلهم له مباحا ، فيسبيهم وينهب ما في أيديهم ، ويكونوا تحت نفوذه وسيطرته . وقوله (لا أهلكهم بسنة عامة) : والسنة بنون خفيفة ، هي القحط ، والجدب ، ومعناه أن الله تعالى لا يهلكهم بقحط عام ، يعم ديار المسلمين كلها ، بل يكون هذا القحط يسيرا ، أو يكون في ناحية ، دون ناحية أخرى ، وهذا من رحمة الله بعباده . وقوله (ولو اجتمع من بأقطارها) : أي لو اجتمع كل أعداء هذه الأمة من نواحي الأرض . وقوله (حتى يكون بعضهم يهلك بعضا . . .) : أي أن الله تعالى لايسلط العدو عليهم ، حتى يكون المسلمين هم الذين يهلك بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا ، ويقع بينهم القتل ، والحرب ، فعندئذ يسلط الله العدو

عليهم ، فيهلكهم ، ويسبيهم ، كما أهلكوا بعضهم ، وقد وقع هذا ، من تسلط الدول الكافرة ، على ممالك الاسلام ، وانتزاعهم لكثير من هذه الممالك بسبب اقتتال المسلمين فيما بينهم ، وانشغالهم بالحروب الداخلية .

(ما من زمان إلا والذي بعده شرّ منه)

عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه ، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا ، فإنه لايأتي عليكم زمان ، إلا والذي بعده شرّ منه ، حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم ﷺ - وفي رواية الترمذي : - مامن عام إلا والذي بعده شرّ منه . (رواه أحمد (٢٦١/٣) والبخاري (٦١/٩) والترمذي (٢٢٠٦) .

قوله (ما يلقون من الحجاج) : هو الأمير الظالم المشهور ، والي عبد الملك بن مروان على الحجاز ، كان شديد البطش ، ومتعطشا للدماء ، حتى لو عدت مظالمه لاستوعبت مجلدات ضخاما ، ومن أقبح فعائله ، انتهاكه حرمة البيت الحرام ، واساءته إلى اصحاب النبي ﷺ كأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وأسماء بنت أبي بكر

وإبنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ، وغيرهم كثير ، وصدق فيه قول النبي ﷺ : إن في ثقيف كذابا ومبيرا[٢٩] . و المبير أي المهلك ، وقال طاووس اليماني التابعي الجليل رضي الله عنه : عجبا لإخواننا من أهل العراق ، يسمون الحجاج : مؤمنا ، وكان ابراهيم النخعي الكوفي الفقيه وإمام أهل الكوفة إذا ذكر الحجاج قال : ألا لعنة الله على الظالمين[٣٠] . وقال هشام بن حسان : أحصوا ما قتل الحجاج صبرا ، فبلغ مائة ألف وعشرين ألف قتيل[٣١] . وقوله (لا يأتي عليكم زمان) : أي عام كما في الرواية الثانية ، أو بمعنى العصر ، وأن الخير في تناقص مثل العمل بأحكام الله ، وذهاب العلماء ، وبالمقابل يظهر الشر ويزداد الجهل بذهاب العلماء ، ويكثر

---

(٢٩) رواه مسلم (١٩٧٢) والترمذي (٢٢٢٠ ـ ٣٩٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وروواه مسلم من حديث اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وأنهاقالت للحجاج : فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا اخالك إلا إياه ، وتعني بالكذاب هو المختار بن عبيد الثقفي الذي أظهر التنبؤ وادّعى أن جبريل عليه السلام ينزل عليه ، فخاب وخسر .

(٣٠) هذان الأثران رواهما ابن أبي شيبة في كتاب الايمان ص ٣٢ بتحقيق الشيخ الألباني .

(٣١) رواه الترمذي (٢٢٢٠)

الأشرار والفساق ، وظهور المعاصي . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أمس خير من اليوم ، واليوم خير من غد ، وكذلك حتى تقوم الساعة .(٣٢) وقد استشكل هذا الاطلاق في الحديث لوجود بعض الأزمنة أقل في الشر من التي قبلها ، كزمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وما ثبت من حلول الخير وذهاب الشرور في زمن المهدي وعيسى عليه السلام وأن هذا يكون في آخر الزمان ، فكيف يكون ذلك ؟ أجاب الحافظ بقوله : وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب ، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج ؟ فقال : لابد للناس من تنفيس ، وقال أيضا : وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر ، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء ، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا ، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده ، لقوله ﷺ : خير القرون قرني .(٣٣) ثم ذكر ما ثبت عن ابن مسعود رضي

---

(٣٢) رواه أحمد في الزهد (١٦٠) والطبراني بسند صحيح كما في الفتح (١٣/ ٢٠)

(٣٣) الحديث مما اتفق عليه الشيخان (١٦٤٦) ولفظه : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته .

الله عنه في بيان المراد ، وما يصلح أن يفسر به الحديث وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه : لا يأتي عليكم عام إلا وهو شرّ من الذي كان قبله ، أما إني لست أعني عاما أخصب من عام ، ولا أميراً خيراً من أمير ، ولكن علماؤكم وخياركم وفقهاؤكم يذهبون ، ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء أقوام يقيسون برأيهم . أهـ.[٣٤]

(٣٤) رواه الدارمي في سننه (١ / ٦٥) وقال في الفتح : سنده حسن (١٣/ ٢١) .

(مجيء سنين خدّاعة)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أمام الدجال سنين خدّاعة ، يكـذّب فيها الصادق ، ويصدّق فيها الكاذب ، ويخوّن فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الفويسق يتكلم في أمر العامة . (رواه أحمد (٣/ ٢٢٠) باسناد حسن وقال الحافظ : سنده جيد (الفتح ١٣ / ٨٤) وله شاهد من حديث أبي هريرة باسناد جيد رواه أحمد (٢ /٣٣٨) وصححه الحاكم من طريق آخر (٤ /٤٦٥ ـ ٥١٢) وفيه نظر ، وهو عند أحمد (٢ / ٢٩١) والخرائطي في المكارم (١٧٧) وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٤) .

قوله (إن إمام الدجال سنين خداعة) : أي قبل ظهور الدجال وخروجه ، وحديثه مشهور ، وقد ذكرته في علامات الساعة (٤١) ومعناه : تغير الأحوال ، وانقلابها

في موازين الناس ، فترى الأمور على عكس ما هو عليه ، لقلة الدين ، وانحدار القيم والسلوك البشري عند الناس في ذلك الزمان ، حتى يرى الصلاح والدعوة إليه فسادا ، ويسمى الفساد اصلاحا ، لكثرة الاشرار وتسلطهم على الناس ، فيظهروا أمام الناس ، أنهم مصلحون ؛ وأمناء ، وصادقون . . . الخ ، فينخدع بهم من لاعلم له ، وقوله (الرويبضة) : قد وقع مفسرا ، في الحديث ، من أنه الرجل التافه الحقير ، يتولى القيام على شئون الناس ، ويتزعم آراءهم ، بعد أن كان لا يؤبه له ، ونظير ذلك قوله ﷺ في أشراط الساعة : إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة .[٣٥] وقوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام لمّا سأل عن أشراط الساعة : إذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشرطها .[٣٦]

---

(٣٥) رواه أحمد (٢ / ٣٦١) والبخاري (١ / ٢٣)

(٣٦) انظر مختصر مسلم (٢) وفتح الباري (٨/ ٥١٣)

(ما يقع من تمني الموت لشدة الفتن)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لاتذهب الدنيا ، حتى يمر الرجل على قبر الرجل ، فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين ، إلا البلاء . (رواه أحمد (٢/ ٢٣٦) واتفق عليه الشيخان (١٨٤٢) ولفظه عند البخاري : لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . فيقول : يا ليتني مكانه . وفي رواية لأحمد بلفظ : فيقول : ياليتني مكانه ، مابه حب لقاء الله عز وجل . رواها (٢/ ٥٣٠) باسناد صحيح وروى اللفظة الأخيرة الحاكم (٤/ ٤٥٤) من قول ابن مسعود رضي الله عنه وصححه على شرطهما) .

ومعنى الحديث : هو تمني الموت ، عند حصول الفتن ، واشتدادها ، حتى يضيق بها المرء فلا يدري ما يفعل ، إلا تمني الموت ، لكي يتخلص مما هو فيه ، مع أن

المـوت من المصائب ، ويشمـل هذا التمني أهـل الدين والصلاح وغيرهم من أهل الدنيا والمعاصي ، فأما أهل الـدين فهـو لحصـول الفتن ، ومـا يصيب الـدين من ضعف ، وعموم المنكرات ، وغلبة أهل الباطل ، وانتشار المعاصي والفسق ، فهم يتمنونـه لذلـك ، كما عبّـر عنه حديث أبي هريرة فيما رواه الحاكم عن أبي سلمة قـال : عدت أبا هريرة ، فسندته إلى صدري ، ثم قلت : اللهم اشف أبا هريرة . فقال : اللهم لا ترجعها ، ثم قال : إن استطعت يا أبا سلمة ، أن تموت فمت ، فقلت : يا أبا هريرة ، انا لنحب الحياة ، فقال : والذي نفس أبي هريرة بيده ، ليأتين على العلماء زمان ، الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر ، وليأتين أحدهم قبر أخيه ، فيقول : ليتني مكـانه[٣٧] . فـدل ذلك عـلى أن تمني الموت ليس مخصوصا بأهل الدنيا الآخرين ، وإن حصل منهم ، فإنه لايكون من جهة الدين بل من جهة الدنيا ، كالمصيبة في النفس أو الأهـل أو المال ، وغيـره من الأشياء المتعلقـة بالدنيا ، لذا قال في الحديث (ليس به الدين إلا البلاء)

---

(٣٧) رواه الحاكم (٤/ ٥١٨) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وفي الرواية الثانية (مابه حب لقاء الله عز وجل) . قال ابن عبد البر : ظن بعضهم أن هـذا الحديث معـارض للنهي عن تمني الموت .[٣٨] وليس كذلك ، وإنما في هذا القدر سيكون لشدة تنزل بـالناس ، من فسـاد الحال في الـدين أو ضعفه أو خـوف ذهابـه ، لاالضـرر ينـزل في الجسم . أهـ. وقال ابن حجر : ويمكن أخذ الحكم في الاشارة في قوله (وليس به الدين إنما هو البلاء) فانه سبق مساق الذم والانكار ، وفيه ايماء إلى أنه لوفعل ذلك بسبب الدين لكان محمودا ، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف .[٣٩]

---

(٣٨) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : لايتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به ، فإن كان لابد متمنيّا ، فليقل : اللهم أحيني ماكانت الحياة خيرا لي . وتوفني إذا كانت الوفـاة خيرا لي . (انـظر صحيح الجـامع الصغـير رقم ٧٤٨٦ ـ ٧٤٨٧ ـ ٧٤٨٨) .

(٣٩) فتح الباري (١٣/ ٧٥) .

(يحصر المسلمون إلى المدينة)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : يوشك المسلمون أن يحصروا بالمدينة ، حتى يكون أبعد مسالحهم : سلاح . (رواه أبو داود (٢/٢٠٣) والحاكم (٤/٥١١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ورواه الطبراني في الصغير (٢ / ٤٠) وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه الحاكم (٤/٥١١) موقوفا - وانظر صحيح الجامع (٨٠٣٣) .

قوله (يوشك المسلمون أن يحصروا) : قال الصديقي : أي يحبسوا ، ويضطروا ، ويلتجؤوا وقوله (إلى المدينة) : أي مدينة النبي ﷺ لمحاصرة العدو اياهم ، ويفر المسلمون من الكفار ، ويجتمعون بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر ، أوبعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها ، احتراسا عليها . قال الدهلوي : الظاهر أن هذا في إخبار عن حال

المسلمين زمن الدجال ، حين يأرز الاسلام إلى المدينة المطهرة ، أو يكون هذا في زمان آخر . قوله (أبعد مسالحهم) : جمع مسلحة ، وأصله موضع السلاح ، ثم استعمل للثغر ، وهو المراد هنا ، أي أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر ، القريب من المدينة ، على عدة مراحل . أهـ. قال في النهاية : المسالح جمع المسلحة ، والمسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة ، لأنهم يكونون ذوي سلاح ، أو لأنهم يسكنون المسلحة ، وهي كالثغر والمرقب ، يكون فيه أقوام يرقبون العدو ، لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه ، أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له . أهـ. قال القاري : وهذا يدل على كمال التضييق عليهم ، واحاطة الكفار حواليهم . (عون المعبود ٤/١٥٧) .

(الفتن من قبل المشرق)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : ألا إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان . (اتفق عليه الشيخان ١٨٤٠) .

وعنه رضي الله عنه قال : أن النبي ﷺ قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : يارسول الله ، وفي نجدنا . قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : يارسول الله ، وفي نجدنا . فقال : هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان . (رواه البخاري في صحيحه (٩/٦٧ ـ ٦٨) والطرسوسي في مسند ابن عمر (٤٠/٦٩) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/٣٨٨ ـ ٧٤٧ ـ ٧٤٨) وابن عساكر في تاريخه (١/١١٩ ـ ١٢٠) .

قال الخطابي : نجـد من جهة المشـرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلهـا من الغور ، ومكة من تهـامة . أهـ. (الفتـح ١٣/٤٧) .
قلت : والحديث فيه ذم لتلك الجهة وساكنيها ، لأن منشأ الفتن كـما أخبر من قبلهم ، وظهـر بعض ذلك ، كـما حدث في مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وما نشأ عنه من ظهور الفرق والاختلافات في تلك الجهة ، فإن أغلب الفرق كان ظهـورها في تلك الجهـة ، كالرافضة والمعتزلة وغيرها من الفرق المشهورة التي مرقت عن سبيل المؤمنين ، ومن ذلك أيضا الغزو التتـاري ، الذي قـاده هولاكو ، الذي دمر مدينة بغداد وقتّل الكثيرين من أهل الاسـلام وعلمائـه ، وقضى على الخـلافـة الاسـلاميـة آنذاك، ومكن لأهل الكفر والزندقة من الاستيـلاء على البلاد ، وما حدث في زماننا هذا من قتـال بين العـراق وايـران ، واستمرار هـذا القتـال ، الـذي يهـدد العـالم الاسلامي بالفناء والدمار هو بلاشك يعد من أكبر الحروب

وأعظمها وأكثرها خسائر في التاريخ الحديث ، نسأل الله تعالى السلامة ، والعصمة من الضلال .

(توقف رحى الاسلام)

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : تدور رحى الاسلام بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وان يقم لهم دينهم ، يقم لهم سبعين عاما . قلت : مما بقي أو مما مضى ؟ قال : مما مضى . (رواه أحمد (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥ ـ ٤٥١) وصححه الحاكم (٣/ ١١٤ ـ ٤/ ٥٢١) وأبو داود (٢/ ٢٠٢) وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب (٤٣٩٩) وانظر صحيح الجامع (٢٩٣١) . وقد رواه يعقوب الفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٥٥) .

والمراد هنا بدوران رحى الاسلام : استمرار أمر النبوة ، والخلافة واستقامة أمر الولاة ، واقامة الحدود والأحكام من غير فتور ، ولا فطور إلى سنة خمس وثلاثين

أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين من الهجرة ، بدليل قوله عليه السلام : مما مضى . قال التوربشتي : أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة واقامة الحدود والأحكام ، وجعل المبدأ فيه أول الهجرة ، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمسا وثلاثين أو ستاً وثلاثين أو سبعا وثلاثين ، ثم يشقون عصا الخلاف ، فتفرق كلمتهم ، فإن هلكوا فسبيلهم من قد هلك قبلهم ، وان عاد أمرهم إلى ما كان عليه من ايثار الطاعة ، ونصرة الحق ، يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين . أ هـ . (عون المعبود ٤/ ١٤٠) .

(عودة الغربة إلى الاسلام)

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها . (رواه مسلم ١/ ٩٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى

للغرباء . (رواه مسلم أيضا (١ / ٩٠) وفي الباب عن سهل بن سعد وعن ابن مسعود) .

قوله (إن الاسلام بدأ غريبا) أي عند بدء الدعوة في مكة ، وموقف المشركين منها ، ووقوفهم ضد دعوة النبي ﷺ ، ومحاربتهم إياه ، واستنكارهم ما جاء به من الحق . وقوله (وسيعود غريبا كما بدأ) أي بالتدريج ، حيث تضعف قواعد الدين ، وتنسى أحكامه ، وتذهب معالمه وسننه وتستبدل السنن بالبدع والمحدثات ، وتصبح البدع شرعا يتبع ، فينكر على أهل السنة ، ومحييها ما هم عليه ، لغرابة ذلك عليهم ، وطول العهد بينهم وبين ما قبلهم . وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : كيف أنتم إذا لبستكم فتنة ؟ يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة ، فإذا غيرت ، قالوا : غيرت السنة . قالوا : ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا كثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ـ زاد في رواية ـ وتفقه لغير الدين[٤٠] كما ينبغي عودة

---

(٤٠) رواه الدارمي في سننه (١ / ٦٤) والحاكم (٤ / ٥١٤) وقال الذهبي : على شرط الشيخين ورواه أبو نعيم في الحلية (١ / ١٣٦) .

الاسلام غريبا ، لايوجب تركه ، بل يوجب العمل به ، واظهاره ، فإنه هو الدين الذي أمرنا الله بـه ، كما قـال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ وأنه هو طـريق الفوز والفلاح في الآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الاسـلام دينا ، فلن يقبـل منـه ، وهـو في الآخـرة من الخاسرين** ﴾ قوله (فطوبى للغرباء) : قيل معنى طـوبى هو خير لهم وفرح وقرة عين ، وقيل : طوبى اسم شجرة في الجنـة، والله أعلم . والمراد : مـدح الغربـاء ، وبيان كونهم غرباء لغربة الدين ، فلو كان الإسلام كما هو عليه الحال ، أيام الخلافة الاسـلامية في المـدينة النبويـة ، لما أصبحوا غرباء ، لأن الاسلام ظاهرة معـالمه ، ومـطبقة مبادؤه ، أما آخر الزمان فإن أهله غرباء ، كما كان أهل الاسلام عند بدء الدعوة النبوية الشريفة في مكة ، ومـا لاقاه المسلمون من المعارضة والمحاربة ، من أهل الشرك والأوثـان ، فإن أهـل الاسلام يـلاقون في آخـر الزمـان المحاربة والإنكار من مخالفيهم من أهل الزندقة والكفـر وأهل الأهواء والبدع ، وقد جاء في وصف هؤلاء الغرباء أحاديث منها : حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده : طوبى للغرباء . فقيل : من الغرباء يا رسول الله ؟ قال : أناس صالحون في أناس سوء كثيرين ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم[41] وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء. قيل: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس[42] .

قال ابن القيم رحمه الله : الغربة ثلاثة أنواع : غربة أهل الله ، وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها ، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه : بدأ غريبا ، وأنه سيعود غريبا كما بدأ وأنه أهله يصيرون غرباء . وقال : وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين

---

(٤١) رواه أحمد (٢/ ١٧٧ ـ ٢٢٢) وابن المبارك في الزهد (٧٧٥) باسناد جيد ويعقوب بن سفيان (٢/ ٥١٧) والآجري في الغرباء (٦) وابن وضاح في البدع / ص ٦٤ .

(٤٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٢) وفي الصغير (١/ ١٠٤) وإسناده صحيح . والحديث له شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص رواه أحمد (١/ ١٨٤) بسند صحيح .

قوم دون قوم ، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقا ، فإنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم ينتسبوا إلى غير رسول الله ﷺ ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به ، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم ، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم، بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث انطلق الناس ؟ فيقولون : فارقنا الناس ، ونحن أحوج إليهم منا اليوم ، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده . فهذه (الغربة) لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس ، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا ، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا ، وان عاداه أكثر الناس وجفوه . وقال : ومن صفات هؤلاء الغرباء ـ الذين غبطهم النبي ﷺ : التمسك بالسنة ، إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وان كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ، لاشيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده ، وهؤلاء هم القابضون على

الجمر حقا ، وأكثر الناس ـ بل كلهم ـ لائم له . وقال : فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه ، وفقها في سنة رسوله ، وفهما في كتابه ، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكبهم من الصراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله ﷺوأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط ، فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، وازرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ ، فأما ان دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه ، فهناك تقوم قيامتهم ، ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بِخَيْلِ كبيرهم ، ورجلهم ، فهو غريب في دينه لفساد أديانهم ، غريب في تمسكه بالسنة ، لتمسكهم بالبدع ، غريب في اعتقاده ، لفساد عقائدهم ، غريب في صلاته لسوء صلاتهم ، غريب في طريقه ، لضلال طرقهم ، غريب في نسبته ، لمخالفة نسبهم ، غريب في معاشرته لهم ، لانه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم ، وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته ، لايجد من العامة مساعدا ولا معينا فهو عالم بين جهال ، صاحب سنة بين

أهل بدع ، داع إلى الله ورسوله ، بين دعاة إلى الأهواء والبدع ، آمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، بين قوم ، المعروف لديهم منكر ، والمنكر معروف . وقال : الاسلام الحق ـ الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه . هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره ، وان كانت أعلامه ورسومه ظاهرة مشهورة معروفة ، فالاسلام الحقيقي غريب جدا ، وأهله غرباء ، أشد الغربة بين الناس . أ هـ (مدارج السالكين ٣/١٩٦ ـ ٢٠٠) . قلت : فكيف لو عاش ابن القيم رحمه الله إلى زماننا هذا ، ورأى حال أهله وما هم عليه ، لكأني به يحمد الله على أنه مات في زمانه ذاك قبل سبعة قرون .

(رفع الأمانة)

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا : أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل

النـومة ، فتقبض الأمـانة من قلبـه ، فيظل أثـرها مثـل الوكت ، ثم ينام النومة ، فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر المجل ، كجمر دحرجته على رجلك ، فنفط فتراه منتبرا ، وليس فيه شيء ـ ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله ـ فيصبح الناس يتبايعـون لايكاد أحـد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : ان في بني فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل : ما أجلده ، وما أظرفه ، وما أعقله ؟ وما في قلبـه مثقـال حبـة من خـردل من إيمـان . (رواه أحمـد (٥/٣٨٣) واتفق عليـه الشيخـان (٨٧) والتـرمـذي (٢١٧٩) وابن ماجه (فتن ٢٧) .

(الجـذر) : هـو الأصـل مـن كـل شـيء . (الوكت) : أثر الشيء اليسـير منه ، (المجـل) : أثر العمل في الكف إذا غلظ نقله أبو عبيد عن الأصمعي وأبي عمـرو وغيرهمـا . قال في الفتـح : المراد بـرفعهـا ـ أي الأمانة ـ اذهـابها بحيث يكـون الأمين معـدوما أو شبـه المعدوم . أ هـ قال صاحب التحرير : الأمـانة المذكورة في الحديث هي الأمانة المذكـورة في الآية : ﴿ **إنـا عرضنـا الأمانة** ﴾ وهي عين الايمان ، فإذا استكملت في القلب ،

قام بأداء ما أمر به ، واجتنب ما نهى عنه . أ هـ وقال ابن العربي : المراد بالأمانة في حديث حذيفة : الايمان ، وهو التلفظ باللسان والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب ، فشبهه بالأثر في ظاهر البدن وكنى عن ضعف الايمان بالنوم ، وضرب مثلا لزهوق الايمان عن القلب حالا ، بزهوق الحجر عن الرجل حتى يقع بالأرض . أ هـ وقال صاحب التحرير : معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا ، فإذا زال أول جزء منها زال نورها ، وخلفته ظلمة كالوكت ، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله ، فإذا زال شيء آخر ، صار كالمجل وهو أثر محكم لايكاد يزول إلا بعد مدة ، وهذه الظلمة فوق التي قبلها ، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه ، واعتقاب الظلمة اياه بجمر يدحرجه على رجل حتى يؤثر فيه ، ثم يزول الجمر ، ويبقى النفط . أ هـ (انظر فتح الباري (١١ / ٣٣٣ - ٣٣٤ - ١٣ / ٤٠) وتحفة الأحوذي (٣/ ٣١٢) .

قلت : وفي الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال الأعرابي النبي ﷺ متى الساعة ؟ فقال : إذا ضيعت

الأمانة ، فانتظر الساعة . قال : كيف اضاعتها ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة . (رواه البخاري ١/٢٣) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، وسيصلي قوم لادين لهم (رواه الحافظ الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم (١٧٠) والطبراني في الكبير (١٥٣/٩) باسناد جيد ، وروى مرفوعا من طرق تدل على ثبوته (انظر صحيح الجامع (٢٥٦٧ - ٢٥٧٢) .

(ذهاب الأخيار والصالحين)

عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يذهب الصالحون الأول فالأول ، وتبقى حفالة ـ وفي رواية ـ حثالة ، كحثالة الشعير ، أو التمر ، لايباليهم الله بالة . (رواه أحمد (٤/١٩٣) والبخاري (٨/١١٤) .

قوله (يذهب الصالحون الأول فالأول) : المراد به قبض أرواحهم ، ووفاتهم ، يتتابعون في الموت ، حتى لايبقى إلا الأشرار ، ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[٤٣] ويشمل قوله (الصالحون) : أهل العلم والتقوى وأهل الخير والمعروف ، وقوله (حثالة كحثالة الشعير أو التمر) : قال

---

(٤٣) رواه أحمد (١/٣٩٤) ومسلم (٢٢٦٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

في الفتح : وقال الخطابي : الحثالة بالفاء وبالمثلثة : الرديء من كل شيء) ، وقيل : آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه ، وقال ابن التين : الحثالة : سقط الناس ، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرها[٤٤] وقوله (لايباليهم الله بالة) : قال الخطابي : أي لايرفع لهم قدرا ، ولايقيم لهم وزنا ، يقال باليت بفلان ، وما باليت به مبالاة وبالية وبالة . وفي معنى هذا الحديث ما روى من حديث رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال : قرب لرسول الله ﷺ تمر ورطب ، فأكلوا منه ، حتى لم يبق منه إلا نواه ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : تذهبون الخير فالخير ، حتى لايبقى منكم إلا مثل هذا[٤٥] فدل ذلك على أن ذهاب الأخيار والصالحين أسرع من غيرهم ، لقلة أعمارهم ، ومحبة الله لهم ، وأما بالنسبة لغيرهم فهو علامة من علامات الساعة ، وفتنة من الفتن ، حيث

---

(٤٤) انظر فتح الباري : (٢٥٢/١١) .

(٤٥) رواه ابن حبان (١٨٣٢) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤٣٤/٤) وانظر صحيح الجامع (٢٩٣٢) .

يســود في النــاس الأشـــرار ، ويحكمــوا بينهم بــطبيعــة أحوالهم ، مما يتبع أهواءهم ، وما ينتشر من الضلال بين الناس ، ويؤيده قوله ﷺ : إن الله لايرفع العلم بقبض يقبضـه ، ولكن يرفـع العلماء بعلمهم ، حتى إذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا ، فحدثوا ، فضلوا وأضلوا .(٤٦)

---

(٤٦) اتفق عليه الشيخان من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما (١٧١٢) .

(دروس الاسلام)

عن حـذيفة بن اليمـان رضي الله عنه قـال : قال رسـول الله ﷺ : يدرس الاسـلام ، كما يـدرس وشي الثوب ، حتى لايدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية . ويبقى طـوائف من الناس : الشيخ الكبير ، والعجوز الكبيرة ، يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها . (رواه ابن ماجه (٤٩٠٩) والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٤/٤٥٤ ـ ٤٧٣ ـ ٥٠٥) وقال الحافظ في الفتح : سنده قوي (١٣/ ١٦) .

قوله (يدرس الاسلام) أي يذهب وتزول أحكامه بالتدريج ، من قوله : درس أي عفا وذهب أثره ، ودرس الثـوب ونحوه : أي خلق وبـلي كما في المعجم . وقـوله (وشي الثوب) : هو النقش الذي في الثوب ويكون من

كل لون ، والمعنى أن اندراس الاسلام بسبب هجر أحكامه ، وترك تعاليمه ، فينسى بين الناس وإن ظنوا أنهم على شيء منه ، كما يخلق وشي الثوب ونقشه لكثرة استعماله ، وقوله (وليسرى على كتاب الله في ليلة) : من سرى الليل إذا ذهب ومضى ، وقوله (فلا يبقى في الأرض منه آية) : والمراد به رفع القرآن قبل قيام الساعة ، ويكون أيضا بقبض العلماء كما أشرنا إليه آنفا ، ويؤيده ورود جملة من الآثار عن الصحابة في رفع القرآن قبل يوم القيامة ، عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عمرو رضي الله عنهم ، وقد أشرت إلى بعضها في كتاب علامات الساعة (٦٩ ـ ٧٠) وأنه لا تعارض بين هذا الحديث وغيره في بقاء الدين ، لأن هذا قبل قيام الساعة بقريب ، والأحاديث التي فيها حفظ الدين تكون قبل ذلك ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام : لاتقوم الساعة حتى لايقال في الأرض الله الله .[٤٧] ويستفاد من الحديث التمسك بالدين وتعليمه للناس ، وخاصة التوحيد الخالص لله ، لأنه لايقبل عمل دونه . والله نسأل أن يثبتنا

(٤٧) رواه مسلم ، وانظر مختصر صحيح مسلم رقم (٢٠٢٠) .

عل الحق ، ويجعلنا من المسلمين الموحدين .

(افتراق الأمة واختلافها)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . (رواه الطيالسي (٢٧٥٤) وأحمد (٢/٣٣٢) وأبو داود (٢/ ٢٥٩) والترمذي (٢٦٤٠) وصححه والحاكم في المستدرك (١/١٢٨) وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبي أيضا) .

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : أن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة ، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ويخرج أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء ، كما يتجارى الكلب ، بصاحبه ، فلايبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله . (رواه أحمد (٤/١٠٢) وأبو داود (٢/٢٥٩) و الحاكم

(١٢٨/١) وقال بعده : هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث وقد أقره الذهبي عليه) .

قوله (كما يتجارى الكلب بصاحبه) الكلب بفتح الكاف واللام ، هو مرض معد يعرف برهبة الماء ، ينتقل فيروسه في اللعاب بالعض ، من الفصيلة الكلبية إلى الانسان وغيره، ومن أعراضه تقلصات في عضلات التنفس والبلع ، ويخاف صاحبه الماء ، وتحدث له اضطرابات شديدة في الجهاز العصبي ، قد يؤدي إلى الجنون ، وشبه أهل الأهواء ، بالذي به مرض الكلب ، لكونهم يتخذون الأهواء دينا لهم ، وحكما لهم ، فهم أشربوا في قلوبهم الأهواء كمثل مرض الكلب الذي ينتشر في صاحبه ، حتى لايخلو منه عرق ولا مفصل كما في الحديث .

وقيل في معنى الحديث : بأن الخلاف المذكور ، هوما يقع في أصول الدين والاعتقاد ، لا ما يقع في الفروع ، والاجتهادات الفقهية ، لأن مثل هذا قد وقع بين جمهور الصحابة ، والتابعين وغيرهم من أئمة المسلمين في كثير من المسائل ، وأن الخلاف إذا وقع في الأصول ومسائل

العقيدة المجمع عليها ، يكون صاحبه على غير الصراط المستقيم ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ويَتَّبِعْ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ وقيل: إن الناس منهم العامة ومنهم الخاصة، فأما العامة ، وهم كثيرون وهم الذين لم يتعمقوا في كثير من مسائل الدين ، فهؤلاء عقيدتهم واحدة ، سواء المتقدمون والمتأخرون، وأما الخاصة وهم الذين درسوا هذا الدين، ففيهم المبتدع الغالّ والناصب والمعتزلي والرافضي والجهمي والمرجئي والباطني وغيرهم ممن خرجوا عن الاجماع في عقائدهم ، وصاروا فرقا ، يدعو كل منها إلى فرقته ، فهؤلاء هم الذين يعدون من الفرق الضالة التي أشير إليها في الحديث وقد قام جماعة من العلماء في القديم والحاضر بتأليف الكتب والرسائل في الرد على أصحاب هذه الفرق ، لبيان زيغهم وضلالهم ، ولتنبيه الناس من شرور هؤلاء ولابطال حججهم وافساد الشبه التي وضعوها في طريق المسلمين ، ومن أمثال العلماء الذين ألفوا في ذلك : ابن حزم الظاهري والحسن التستري وعبد القاهر التميمي وابن تيمية وغيرهم . قال عبد القاهر التميمي : وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات

المنسوبة إلى الاسلام أن النبي ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه، مع اتفاقهم على أصول الدين، لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين : أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه ، وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون والثاني : قول من يرى في كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه ، وتخطئة الباقين ، من غير تضليل للمخطىء وقال : وإنما فصل النبي عليه الصلاة والسلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية ، في أبواب العدل والتوحيد ، أو في الوعد والوعيد ، أو في باب القدر والاستطاعة ، أو في تقدير الخير والشر ، أو في باب الهداية والضلالة ، أو في باب الارادة والمشيئة ، أو في باب الرؤية والادراك ، أو في باب صفات الله عز وجل وأسمائه وأوصافه ، أو في باب من أبواب التعديل والتجوير ، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج

والروافض والنجارية والجهمية والمجسمـة والمشبهة ومن جرى مجراهم من فرق الضلال ، فإن المختلفين في العدل والتـوحيد والقـدر والاستطاعـة وفي الـرؤيـة والصفـات والتعـديل والتجـوير وفي شـروط النبوة والامـامة يكفـر بعضهم بعضا ، فصح تأويل الحديث المروى في افتراق الأمة ثلاثة وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف ، دون الأنـواع التي اختلفت فيها أئمـة الفقـه من فـروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام ، وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع . أ هـ ثم ذكر عبد القاهر ابتداء الاختلاف حيث حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتبـاعه ، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئـا فشيئا ، إلى أن تكـاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة ، وهي الفرقة الناجية . (انظر كتاب الفرق بين الفرق / ص ٩ ـ ١٠ ـ ١١) .[٤٨]

---

(٤٨) ومن الكتب الجيدة التي يستفيد منها طلاب العلم وأهله ، والتي توضح المنهج الصحيح الذي كان عليه سلف هذه الأمة هي : كتاب التفسير لابن كثير لمن أراد تفسير معنى الآيات وخاصة المتعلقة بأسماء الله وصفاته وكتب الأحاديث المشتهرة ككتاب التوحيد لابن خزيمة، ومجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد =

= الوهاب ، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان حفيد الامام ابن عبد الوهاب ، والعقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي ، وعقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ، والعقيدة في الله للشيخ عمر الأشقر ، وغيرها من كتب علماء السنة التي تتضمن الجانب العقائدي في الدين .

(بعث المجدّدين على
رأس كل قرن)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها . (رواه أبو داود (٢ / ٢٠٩) والحاكم (٤ / ٥٢٢) والبيهقي في المعرفة (١ / ١٣٧) وفي مناقب الشافعي (١ / ٥٣) والخطيب في تاريخه (٢ / ٦١ ، ٦٢) وصححه العراقي كما في الفيض (٢ / ٢٨٢) وقال الحافظ السخاوي : أخرجه الطبراني في الأوسط وسنده صحيح ورجاله كلهم ثقات (المقاصد ٢٣٨) .

قيل : معنى التجديد : إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة ، والأمر بمقتضاهما ، ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء ، بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه ، إذ المجدد للدين لابد أن يكون

عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ، ناصـرا للسنة ، قامعا للبدعة ، وأن يعـم علمه أهل زمانه ، وإنما كان التجديد عـلى رأس كل مـائة سنـة لانخرام العلماء فيـه غالبا ، واندراس السنن ، وظهور البدع ، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين ، فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف ، إما واحدا أو متعددا[٤٩] . قال الامام أحمد بن حنبل : إن الله يقيّض للناس في كل رأس مائة ، من يعلم الناس السنن ، وينفي عن النبي ﷺ الكذب ، فنـظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعي[٥٠] . وقال الحافظ : اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لاينحصر في نوع من أنواع الخير ، ولايلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد ، إلا أن يدعي ذلك في عمربن عبد العزيز ، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المـائة الأولى ، بـاتصافـه بجميع صفـات الخير ، وتقـدمه فيهـا ، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كـانوا يحملون الحديث عليه ، وأما ماجاء بعده ، فالشافعي وإن كـان

---

(٤٩) كتاب عون المعبود (٤/ ١٨٠)

(٥٠) فتح الباري (١٣/ ٢٩٥)

متصفا بالصفات الجميلة ، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل ، فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا . قلت : وقد ظهر من بعد هؤلاء من جاهد في سبيل الله والدعوة إليه ، وحارب البدع ، وأظهر الدين في زمانه ، ودعا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونبذ ماعداهما ، فاستحق أن يكون من هؤلاء المجدّدين ، من أمثال هؤلاء : الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدّد القرن الثاني عشر ، والذي ظهر في وقت ملأ فيه الشرك والجهل أنحاء الجزيرة ، فرحمة الله عليه .[٥١] ولايدخل في جملة المجدّدين ، وباب التجديد ، ضلّال الطوائف الأخرى ممن افترقوا عن ملة محمد ﷺ كالرافضة والقدرية والمرجئة والجهمية وغيرهم ، قال الصديقي بعد أن تعرّض لهذه

---

(٥١) قلت : ولو أن الطاعنين في سيرة الامام ، حكموا عقولهم ، واتبعوا ما أمرهم الله به ، في مثل هذه الأمور ، وقارنوا أهواءهم ، مع دعوة الامام ، ورجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لاتضح لهم الحق من الباطل ، ولعرفوا حقيقة ما يدعو اليه الامام رحمه الله ، ولاسيما أن كتب الامام موجودة ، وفيها أقواله وما ذهب اليه في كثير من المسائل ، فلو قرأها خصومه بكل صدق وامعان واخلاص في طلب الحق ، لأنار الله عقولهم ، وشرح صدورهم ، ورفع عنهم الالتباس الذي هم فيه ، نسأل الله لهم ولنا الهداية .

المسألة: لأن علماء الشيعة، وإن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، وبلغوا أقصى مراتب من أنواع العلوم، واشتهروا غاية الاشتهار، لكنهم لا يستأهلون المجدّدية، كيف وهم يخربون الدين، فكيف يجددون؟ ويميتون السنن، فكيف يحيونها؟ ويروّجون البدع، فكيف يمحونها؟ وليسوا إلا من الغالين المبطلين الجاهلين، وجل صناعتهم التحريف والانتحال والتأويل، لا تجديد الدين، ولا إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب، والسنة[٥٢]. أهـ.

---

(٥٢) عون المعبود (٤/ ١٨٠)

« فتنة الأئمة والولاة »

(الخوف من الأئمة المضلين)

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع السيف في أمتي ، لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة . (رواه أبو داود (٢/٢٠٢) وأحمد (٤/١٢٣ - ٥/٢٧٨ - ٢٨٤) والدارمي (١/٣١١ - ٢/٧٠) ورواه أحمد أيضا (٦/٤٤١) والدارمي (٢/٧٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، ورواه أحمد أيضا (٥/١٤٥) عن أبي ذر رضي الله عنه) .

قوله (الأئمة المضلين) : أي الداعين إلى البدع والفسق والفجور ، لأن هؤلاء الأئمة يسمع منهم ، فيكونوا فتنة لغيرهم ، إما خوفا منهم كالرؤساء الداعين إلى الفسق والفجور ، أو غيرهم من الأئمة الذين يخدعون

الناس بحلاوة كلامهم ، وبلاغة بيانهم ، وهذا من أخطر الفتن التي حذر منها النبي ﷺ ، وقال عمر لكعب : إني أسألك عن أمر ، فلا تكتمني . قال : والله لا أكتمك شيئا أعلمه . قال : ما أخوف شيء تخوفه على أمة محمد ﷺ ؟ قال : أئمة مضلين . قال : صدقت ، قد أسر ذلك اليّ وعلمنيه رسول الله ﷺ(٥٣) . وقوله (إذا وقع السيف في أمتي . .) أي إذا وقع القتل بينهم ، وقتل بعضهم بعضا ، فإنه سيستمر إلى يوم القيامة ، وقد وقع السيف بمقتل الخليفة ـ المفتري عليه ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو إلى اليوم ، وكذلك إلى قيام الساعة ، يكثر أو يقل في جهة أو غيرها .

(يكون أمراء يطفئون السنة)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنه سيلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السنة ، ويحدثون بدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . فقلت : يارسول الله ، كيف بي إذا أدركتهم ؟ قال : ليس يا ابن أم عبد طاعة لمن عصى الله ـ قالها ثلاث

---

(٥٣) رواه أحمد (١/ ٤٢) وقال الهيثمي :رجاله ثقات (المجمع ٥/ ٢٣٩)

مرات . (رواه أحمد (١/ ٤٠٠) باسناد رجاله ثقات ، وأبو نعيم في الدلائل (٤٧٩) ووقع عنده : ويعلنون البدعة ، وانظر صحيح الجامع (٣٥٥٨) .

ومعنى الحديث : الاخبار بمجيء أمراء بعده ﷺ يكون من صفتهم : طمس السنن ، ومحاربتها ، والتنفير منها ، ويأتون مكانها بالبدع والمحدثات ، التي تتفق مع أهواء الأمراء ، والدعوة إليها ، واظهارها ، وهذا مانراه اليوم من ترك العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهجرهما ، وفي نفس الوقت نجد البدع والمحدثات يعلن عنها ويروج لها بكافة الوسائل، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقوله (يؤخرون الصلاة عن مواقيتها) : لانشغالهم بأمور الحكم وأشياء أخرى ، لأن الأمراء في السابق كانوا يؤمون الناس في الصلاة ، لأنهم كانوا مؤهلين لذلك ، واتباعا لسنة المصطفى ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، لذا أخبر النبي ﷺ بأنه سيأتي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقد كان من ذلك في زمن خلفاء بني أمية ومن بعدهم . وقوله (لاطاعة لمن عصى الله) أي لاطاعة لأحد وإن كان أميرا في معصية الله تعالى ، فيصلي

المسلم الصلاة في وقتها ، فإن أدرك الإمام يصلي بعد ، يصلي معه ، وتكون له تطوع ونافلة ، وعن أبي العالية قال : أخرّ ابن زياد[٥٤] الصلاة ، فجاءني عبد الله بن الصامت وفيه أنه سأله عن ذلك ، فذكر حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : صل الصلاة لوقتها ، فإن أدركتك الصلاة معهم ، فصل ، ولاتقل : إني قد صليت ، فلا أصلي - وفي رواية أخرى - فإن أدركتها معهم ، فصل ، فإنها لك نافلة[٥٥] .

(ليأتين عليكم امراء يقربون شراركم)

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : ليأتين عليكم أمراء ، يقرّبون شرار الناس ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فمن أدرك ذلك منكم ، فلايكونن عريفا ، ولا شرطيا ، ولاجابيا ، ولاخازنا . (رواه أبو يعلى وابن حبان (١٥٥٨) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن

---

(٥٤) انظر ترجمته في الاعلام للزركلي (٤/٣٤٨)

(٥٥) رواه مسلم (٤٤٨ - ٤٤٩)

مسعود وهو ثقة (٥/ ٢٤٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٠)

قوله (يقربون شرار الناس) : كناية عن سوء أحوالهم ، وحبوط دينهم ، والمعنى : أنهم يجعلون الأشرار من المقربين إليهم ، كالأخلاء ، والوزراء والمساعدين ، وذلك لإدارة شئون الحكم ، وفي الحديث الشريف عنه ﷺ قال : مابعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصمه الله[56] فاذا قرّب الأمير أو الخليفة بطانة الشر والسوء ، غلب على الأحوال الشر والفساد ، وفي الحديث تحذير المسلمين وتنبيههم لمعرفة حال الأمراء والخلفاء من خلال استبيان هذه الصفة ، كما ان الواجب على الأمراء وغيرهم من الأعيان توخي الحذر ، وأن لا يقوموا باسناد الأمور إلى أهل الفسق والانحراف ، بل يتوجب عليهم أن يتقربوا إلى أهل الصلاح والخير ، لأن

---

(٥٦) رواه أحمد (٣/ ٣٩ ـ ٨٨) والبخاري (٩/ ٩٥ ـ ٩٦) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وأبي أيوب .

الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده ، وفرض النصيحة لهم ، ومن النصيحة تولية أهل الصلاح والخير في أمور الأمة ، فاذا قلدوا غير أهل الصلاح والخير فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم ، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة[٥٧] . والتوفيق في ذلك من الله - أي اختيار الصلحاء - فمتى شعر الأمير أو الحاكم بالمسئولية الملقاة على كاهله ، وأنه مناط بأداء الأمانة التي وكل بها ، واتقى الله في رعيته ، فإن الله تعالى سيعينه على ذلك ، ويهديه طريق الاستقامة والرشاد[٥٨] . قوله (عريفا) : هو القيم بأمور الجماعة من الناس ، ومن هو دون الوالي ، كالنقيب ، وهو يلي أمور الناس ، ويتعرف منه الأمير على الأحوال وجمعه : عرفاء ، والعرافة عمله ، والنهي هنا عن دخول هذا العمل ، لما فيه التعرض للفتنة ، وإعانة الظالم على ظلمه ، ولما فيه من تمكين السلطان لهم . وقوله

---

(٥٧) رواه أحمد (٢ / ٣٦١) والبخاري في صحيحه (١ /٢٣) .

(٥٨) مثل ذلك ما حدث للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين تسلم مقاليد الحكم ، فأصلحه الله ، وأصلح رعيته بعد زمن الفساد .

(شرطيا) : الشرطة هم الذين يتولـون مهمة الحـراسة داخل البلاد ، ويسعى الظلمة إلى استغلالهم ، وإن كان ضـد مصلحـة الشعـوب ، فكم من بـريء ألقى عليـه الجرم ، وعذب بواسطة هؤلاء ، وكم من نفس أزهقها هؤلاء ، فهم أسـاس الظلم والجـور القائم في كثـير من البلدان ذات النظم الدكتاتورية والاستبدادية ، وقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس . . الحديث[٥٩] . وفي حـديث آخر عنـه ﷺ : يوشك إن طالت بك مدة ، أن ترى قوما في أيديهم ، مثل أذناب البقر ، يغدون في غضب الله ، ويروحون في سخط الله[٦٠] . قوله (كأذناب البقـر) هي ما يحمله هؤلاء ، لضرب الناس بها ، وتخويفهم بـأمر الـوالي أو الحاكم ، وأنها تشبه في شكلها ذيل البقر ، وظهر اليوم مـا يسمى (الهراوات) أو العصي المطاطة ، وهي تشبه في شكلها

---

(٥٩) رواه مسلم (انظر المختصر برقم ١٣٨٨) .

(٦٠) رواه مسلم (٢١٩٣) واحمد (٢/ ٣٠٨ـ ٣٢٣) من حديث أبي هريرة ، ورواه أحمد أيضا (٥/ ٢٥٠) من حديث أبي أمامة .

ذيل البقر . والله اعلم . قوله (جابيا) : الجابي هو الذي يقـوم على جمـع الخراج ونحـوه ، وجمعه جبـاة . وقولـه (خازنا) وهو الذي يعمل على الخزينة ، فيضع ويصرف بإمرة هذا السلطان ، وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم ، يجتنبون الاشتغال ، أو العمل بما يقربهم إلى الأمراء والسلاطـين ، ويحذرون منـه ، ـ أمراء الجـور ـ خاصة كما ويظنون الظن السيء بمن يجلس عندهم ، طلبا لقربهم ومجالستهم ، لكونه لايأمن من هذه الفتنة ، لان السـلاطين والأمـراء من بعد عهـد النبـوة ، والخـلافـة الراشدة ، غلب عليهم حب الدنيا ، والقتال على الملك ، والتاريخ خير دليل على ذلك ، وحتى يومنا هذا ، كما وتجد أكثر من يعملون عند الأمـراء والسلاطـين الظلمـة ـ بل كلهـم ـ مفتونين بهم ، يكيلون لهم المدائح ، ويزينون لهم أعمالهم ، وقد حذر النبي الكريم ﷺ من ذلـك كمافي الحـديث : من أتى أبـواب السلطان افتتن[٦١] . وفي حديث آخر قال ﷺ : اياكم وأبواب السلطان ، فإنه قد

---

(٦١) رواه أحمد (٢ / ٣٧١ ـ ٤٤٠) والترمذي (٢٢٥٦) وصححه وأبو داود (٢ / ١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

أصبح صعبا هبوطا[٦٢] . وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : إياكم ومواقف الفتن . قالوا : وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير ، فيصدقه بالكذب ، ويقول له ما ليس فيه . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن على أبواب السلاطين فتنا ، كمبارك الأبل ، والذي نفسي بيده ، لاتصيبون من دنياهم شيئا ، إلا أصابوا من دينكم مثله أو مثليه[٦٣] . وفي حديث الباب النهي عن الاشتغال في هذه الأعمال ، لكونها اعانة الظالم ، ونصرة الباطل ، كما ويلحق بتلك الأعمال ، كل من يقف إلى جانب الظلمة ، ويعينهم ، ولو بلسانه ، ومن تقرّب إليهم ، وردّ عنهم ، أو تجسس لهم ، أو كتب المقالات والمدائح مشيدا بهم ، ووقع في حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره برىء ، ومن أنكر فقد أسلم ، ولكن من رضي وتابع . قالوا : يارسول الله ، ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ،

---

(٦٢) انظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (١٢٥٣) .

(٦٣) أخرجها ابن عبد البر في جامعه (١/ ١٦٧)

ما صلوا[٦٤] . أي من كره أفعالهم ، واجتنبهم ، ولم يرضى ذلك بقلبه ، وهذا أضعف الايمان ، فقد برىء عند الله مما يفعلون ، ولكن الذي يوافقهم ، ويرضى ذلك منهم ، هو الذي يهلك معهم ، كما أخبر النبي ﷺ ، والأعمال بالنيات .

---

(٦٤) رواه مسلم (١١٨٤) وأحمد (٦/ ٢٩٥ ـ ٣٠٢) والترمذي (٢٢٦٥) وابن عبد البر (١/ ١٦٤) عن أم سلمة رضي الله عنها .

« ما يفعل في الفتن »

(اجتناب الفتن والصبر على البلاء)

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن السعيد لمن جنب الفتن ، إن السعيد لمن جنب الفتن ، إن السعيد لمن جنب الفتن ، ولمن ابتلى فصبر ، فواها . (رواه أبو داود (٢ / ٢٠٤) وانظر صحيح الجامع (١٦٣٣) .

فيه الحث على اجتناب الفتن، وعدم التعرض لها ، والصبر عندها ، وعدم الخوض فيها ، وقوله (فواها) قيل هي كلمة تلهف ، وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء ، يقال : واها له ، وقد ترد بمعنى التوجع . أي أن الصابر في البلاء أو الفتنة ، كالسعيد الذي يجتنبها ، وقد ورد في الحديث : إن من ورائكم أيام الصبر ، الصابر فيهن كالقابض على الجمر ، للعامل فيها أجر خمسين قالوا : يارسول الله ، أجر خمسين منهم أو خمسين منا ؟

قال : خمسين منكم[٦٥] . أي ما يحدث من نزاع واختلافات ، في تلك الأيام ، يخاف فيها المرء على دينه ، ويصبر عليه ، كأنه قابض على الجمر الأحمر ، يثاب عليه هذا الثواب (كأجر خمسين رجلا من الصحابة) أي أجر العمل والثواب ، لأن الصحابة لايسبقهم أحد في الفضيلة . وقد ورد في الحديث : العبادة في الهرج كهجرة إليّ[٦٦] . ومعناه المداومة على العبادة والطاعات عند الفتن والهرج ، وذلك لغفلة الكثيرين عن العبادة في الفتن ، فجعل الذي يكثر العبادة والطاعات ، ويلتزم بأمر الله تعالى ، كالمهاجر إليه ﷺ .

(أفلح من كف يده)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ويل

---

(٦٥) أخرجه البزار كما في المجمع (٧/٢٨٢) والطبراني في الكبير (١٠/٢٢٥) وفي اسناده سهل بن عامر وفيه كلام كما في اللسان (٣/١١٩ ـ ١٢٠) وله شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني أخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه وغيرهما وفي إسناده ضعف ، وكذلك له شاهد من حديث عتبة بن غزوان أخرجه ابن نصر في السنة / ص ٨ والطبراني في الكبير (١٧/١١٧) وفيه انقطاع ، فالحديث قوي بهذه الشواهد والله أعلم .

(٦٦) رواه مسلم (٢٢٦٨) والترمذي (٢٢٠١) .

للعرب من شرّ قد اقترب ، أفلح من كفّ يده ، موتوا إن استطعتم . (رواه أبو داود (٢/٢٠٢) بدون الزيادة الأخيرة ، وهي للحاكم (٤/٤٣٩ - ٤٤٠) وقد صححه على شرط مسلم ، وأخرج الشيخان الشطر الأول من حديث زينب رضي الله عنها (١٨٢٩) .

قوله (ويل للعرب) كلمة ويل تعني هنا : الشرّ وحوله ، وهو للتفجيع ، وقد خصّ العرب بذلك ، لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ، وقوله (قد اقترب) أي اقترب ظهوره . وقوله (أفلح من كف يده) : أي نجا من كف نفسه عن القتال ، والخوض في الفتنة ، عند اختلاط الأمور واختلافها . وقوله (موتوا إن استطعتم) : كناية عن شدة الحال حينئذ ، فيكون الموت الذي هو من المصائب ، أهون من الفتن والشر والواقع حينئذ .

(عدم التعرض للفتن أو السعي اليها)

عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنها ستكون فتن ، ألا ثم تكون فتن ، القاعد

فيها خير من الماشي فيها ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ، ألا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له إبل ، فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه . قال : فقال رجل : يارسول الله ، أرأيت من لم يكن له ابل ولاغنم ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت . قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت أن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو احدى الفئتين ، فيضربني رجل بسيفه ، أو يجيء سهم فيقتلني ؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون من أصحاب النار . (رواه أحمد (٥/٤٨) ومسلم (٨/١٦٩) وأبو داود بعضه (٢/٢٠٣) .

قوله (القاعد فيها خير من الماشي إليها . . الخ) : قال النووي : فمعناه بيان عظيم خطرها ، والحث على تجنبها ، والهرب منها ، ومن التشبث في شيء ، وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها . أهـ. وقوله (يعمد إلى سيفه ، فيدق على حده بحجر) : قال : المراد كسر

السيف حقيقة على ظاهر الحديث ، ليسد على نفسه باب هذا القتال ، وقيل : هو مجاز ، والمراد به ترك القتال في الفتنة ، والأول أصح ، وهذا الحديث والأحاديث قبله وبعده ، مما يحتج به من لايرى القتال في الفتنة ، بكل حال ، وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة ، فقالت طائفة : لايقاتل في فتن المسلمين وإن دخلوا عليه بيته ، وطلبوا قتله ، فلايجوز له المدافعة عن نفسه ، لأن الطالب متأول ، وهذا مذهب أبي بكرةالصحابي رضي الله عنه وغيره ، وقال ابن عمر وعمران بن الحصين وغيرهما : لايدخل فيها ، لكن إن قصد ، دفع عن نفسه . فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام ، وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الاسلام : يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين، قال تعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ الآية وهذا هو الصحيح ، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق ، أو طائفتين ظالمتين ، لاتأويل لواحدة منهما ، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد ، واستطال أهل البغي والمبطلون ، والله أعلم . أهـ . (من شرح مسلم) .

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال : قـال رسـول الله ﷺ : ستكون فتن ، القاعد فيها خـير من القائم ، والقـائم فيها خـير من الماشي ، والمـاشي فيها خـير من السـاعي ، ومن يشرف لهـا ، تستشـرفـه ، ومن وجـد ملجـأ ، أو معـاذا فليعـذ بـه . (اتفق عليـه الشيخـان ١٨٣٣) .

ومعنـــاه : من الاستشــراف ، يقــال : تشــرفت الشيء ، واستشرفته أي علوته ، يريد من انتصب لها ، انتصبت له ، وصرعته ، والمراد : عدم التعرض لها ، من بعيد أو قريب ، وأن الواجب هو تركها والابتعاد عنها ، وعـدم المشاركة فيها ، لكي لايقع في الإثم ، وإن خـير الناس من ابتعد عنها لئلا يصيبه من شرها وعاقبتها .

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قـال في الفتنة : كسّـروا فيهـا قسيكم ، وقـطّعـوا فيهـا أوتاركم ، والزموا فيها أجواف بيوتكم ، وكـونوا كـابن آدم . (رواه الترمذي (٢٢٠٤) وصححه وروى أبو داود (٢/ ٢٠٤) من حديث أبي موسى أيضا وفيه : قـولهم : فـما تأمـرنـا ؟ قـال : كـونـوا أحـلاس بيـوتكم . ـ وفي

رواية ـ فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتـاركم ، واضربـوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دخل على أحد منكم ، فليكن كخير ابني آدم . (أبو داود ٢/ ٢٠٣) .

قوله (كسّروا قسيّكم) : وهي جمع قوس ، وهو آلة الرمي التي يرمى بها النبل ، وقوله (وقطّعوا أوتاركم) : وهو السير الذي يمسك بـه السهم ، ليدفـع به ، ومعنى الحديث : ترك القتال في الفتنة ، وسد الذرائع الموجبة إلى دخولها ، وعدم حمل السلاح فيها ، وكذا بيعه أو اعارته لمن يقاتل في الفتنة ، وقوله (والزموا أجواف بيوتكم) : أي لاتبرحوهـا ولا تغادروهـا عند الفتنـة ، لكي لا يصيبكم شرها وبلاؤها ، من الاختلاط بأهلها ، والداعين اليها ، وقـوله (فليكن كخـير ابني آدم) : أي فليستسلم حتى يكـون قتيلا ، كهـابيـل ولـد آدم ، ولايكـون قـاتـلا ، كقابيل ، وهو يشير إلى قول هابيل كما قال تعالى : ﴿ **لئن بسـطت اليّ يدك لتقتلني ، مـا أنـا بباسط يـدي إليـك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين** ﴾ .

(التحذير من قتل المسلم)

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال : قـال رسـول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لاتذهب الدنيا ، حتى يأتي على الناس يوم ، لايدري القاتل فيما قتل ، ولا المقتول فيما قتل ، قيـل : كيف يكون ذلـك ؟ قال : الهـرج ، القاتل والمقتول في النار . (رواه مسلم ٢٢٣٢) .

وهذا الحديث في غاية التحذير ،من قتل المسلم بغير حق ، وقال القرطبي : فبيّن هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا ، أو اتباع الهـوى ، فهو الذي أريد بقوله (القاتل والمقتول في النار) . أهـ.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقـاتل والمقتول في النار ، قيل : يارسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه ـ وفي روايـة ـ إنه أراد قتـل صاحبـه . (اتفق عليه الشيخـان (١٨٣٤) ورواه أبو داود (٢ / ٢٠٥) .

قال النووي : معنى (تواجه) : ضرب كل واحـد

وجـه صاحبـه ، أي ذاته ، وجملتـه ، وأن كون القـاتل والمقتول من أهل النار ، فمحمول على من لاتأويل له ، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ، ثم كونه في النار ، معناه : مستحق لها ، وقد يجازي بذلـك ، وقد يعفـو الله تعالى عنه ، هذا مذهب أهل الحق . أهـ. قلت : وأما ما وقع من قتال بين الصحابة رضي الله عنهم فهو أنهم لم يقاتلوا إلا عن اجتهـاد ، ولم يتبـين لهم وجـه الحق في ذلـك ، فاجتهدوا بما رأوه ، فطائفة قاتلت مع علي رضي الله عنه ، وطائفة مع معاوية رضي الله عنه ، والطائفة الثالثة وهي التي اعتــزلت ، فهم مجتهـدون ، بخــلاف من جــاء بعدهم ، ممن قاتل على الملك ، وطلب الدنيا ، وقد تقدم الكـلام على مـاوقع بـين الصحـابـة رضي الله عنهم في الفتنة ، فراجعه هناك .

(لزوم الجماعة عند الاختلاف)

عن حـذيفة بن اليمـان رضي الله عنه قـال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله ، إنّا كنا

في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . فقلت له : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر . فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها ، قذفوه فيها . فقلت : يارسول الله ، صفهم لنا ، قال : نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : يارسول الله ، ماترى إن ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم . فقلت : فإن لم يكن لهم جماعة وإمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . (اتفق عليه الشيخان (١٢١١) .

قوله (وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) : ومعناه بالنسبة إليه أنه إذا عرف الشر ، عرف نقيضه وهو الخير ، فيجتنب الشر ، لئلا يقع هو فيه وغيره ، فإنه من يتعلم مكان الشر ، يجتنبه ، وفيه خصوصية حذيفة رضي الله عنه بذلك ، وقد وقع له الكثير من ذلك في كثير من

الأحاديث التي رواها في باب الفتن ، قوله (في جاهلية وشر) : يشير إلى ماكان قبل الاسلام من الكفر ، وقتل بعضهم بعضا ، ونهب بعضهم بعضا ، وإتيان الفواحش ، وقوله (فجاءنا الله بهذا الخير) : يعني الايمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش ، قاله في الفتح . وقوله (وفيه دخن) : أي كدورة ، وقيل هو من الدخان ، والمعنى أن لاتصفوا القلوب بعضها لبعض ، ولاترجع إلى ماكانت عليه من الصفاء وقيل : إن الخير الذي يجيء بعد الشر ، لايكون خيرا خالصا ، بل فيه كدر ، وقيل : صلح بينهم على فساد باطن ، والله أعلم . قوله (يهتدون بغير هديي ، ويستنون بغير سنتي) : أي يسيرون على غير نهجي وسيرتي وطريقتي ، وهذا هوالدخن المشار إليه ، أي أنهم في خير ، ولكن ينقصهم الاقتداء به ﷺ ، والاستنان بسنته ، والسير على هداه ، وقوله (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم . . الخ) : قيل : هم الأمراء وغيرهم من العلماء ، ممن يدعون إلى بدعة وضلالة كالخوارج والقرامطة والرافضة ، وأصحاب المحنة ، ويضاف إليهم دعاة هذا العصر الذين يدعون إلى غير منهج الله ، والذين يروّجون إلى أفكارهم الدخيلة

المناقضة للاسلام ، بالوسائل السمعية والبصرية ، والذين لاتنقطع أقلامهم عن مهاجمة الدين الاسلامي ، والنيل من الدعاة ، بنشر الأكاذيب والتضليل ، لصد الناس عن الاسلام وتعاليمه ، وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : ومن ادعى دعوى الجاهلية ، فهو من جثاء جهنم ، قيل : يارسول الله ، وإن صام وصلى ؟ قال : وإن صام وصلى ، ادعوا بدعوى الله التي سماكم بها : المؤمنين المسلمين عباد الله[٦٧] . وقوله (هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا) : ظاهره أنهم من العرب ، من لونهم ، ولغتهم التي يتكلمون بها ، قال القابسي : معناه في الظاهر على ملتنا ، وفي الباطن مخالفون ، وقوله (تلزم جماعة المسلمين وامامهم) قال في الفتح : أي أميرهم . وقوله (فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض على أصل شجرة . . الخ) : قال البيضاوي : المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة ، فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعض أصل الشجرة

---

(٦٧) رواه أحمد (٤/ ١٣٠ ـ ٢٠٢) والترمذي (٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٤) وصححه والحاكم (١/ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ٢٣٦ ـ ٢٤١) وصححه أيضا وهو كما قالا وحسنه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٨)

كناية عن مكابدة المشقة ، كقولهم : فلان يعض الحجارة من شدة الألم ، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر : عضوا عليها بالنواجذ . أهـ. قال الطبري : اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة .[٦٨] فقال قوم : هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم ، وقال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم ، وقال قوم : المراد بهم : أهل العلم ، لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في مر الدين . وقال : وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس امام ، فافترق الناس أحزابا ، فلا يتبع أحدا في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية الوقوع في

(٦٨) والجماعة المأمور باتباعها هي التي تدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قولا وعملا ، مستمدة منهجها من هذين الأصلين ، دون اتباع الهوى ، وبطر الحق ، أو الدفاع والجدال عن فلان وعلان بالباطل ، لان هذا من التعصب الذي يمقته الله ورسوله ، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله : الجماعة وحدك وإن كنت على الحق (اغاثة اللهفان : ١ / ٧٠) وقال أبو عيسى الترمذي : تفسير الجماعة عند أهل العلم : هم أهل الفقه والعلم والحديث وقال : وسمعت الجارود يقول سمعت علي بن الحسن يقول : سألت عبد الله بن المبارك : من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر . قيل له : قد مات أبو بكر وعمر . قال : فلان وفلان ، قيل له : قد مات فلان وفلان ؟ فقال عبد الله : أبو حمزة السكري جماعة ، قال أبو عيسى : وأبو حمزة هو محمد =

الشر[٦٩] . وقال في الفتح : ويؤخذ منه (أي الحديث) ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة ، وجعلهما فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعوه ، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع .

= بن ميمون وكان شيخا صالحا ، وإنما قال هذا في حياته عندنا (الترمذي رقم ٢١٦٧) . وقال ابن القيم : فإن العصر اذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة ، وهو الاجماع وهو السواد الأعظم ، وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ، ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم ، وساءت مصيرا . أهـ. اغاثة اللهفان (١ / ٧٠)

(٦٩) فتح الباري (١٣/ ٣٦ ـ ٣٧) .

(الاعتزال عند الفتن)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن يكون خير مال المسلم ، غنما يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن . (رواه أحمد (٣/٦ - ٣٠) والبخاري (٩/٦٦) وأبو داود (٢/٢٠٥) .

قوله (يوشك) أي يقرب ، وقوله (شعف الجبال) : أعالي الجبال ، حيث يكثر المرعى ، والحديث فيه دلالة على فضيلة العزلة ، عند وقوع الفتنة ، فيفر به مخافة الضرر الذي سيلحق به ، وهو مقيد بزمن وقوع الفتنة من اكتساب الفوائد الدينية ، للقيام بشعائر الإسلام ، وتكثير سواد المسلمين ، وايصال أنواع الخير إليهم ، من إعانة واغاثة وعيادة وغير ذلك وقال قوم : العزلة أولى لتحقق السلامة ، بشرط معرفة ما يتعين ، وقال النووي : المختار تفضيل المخالطة لمن يغلب على ظنه

أنه يقع في معصية ، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . وقال غيره : يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ، ومنهم من يترجح ، وليس الكلام فيه بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال ، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات ، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر ، فيجب عليه إما عينا ، وإما كفاية ، بحسب الحال والإمكان ، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممن يستوي من يأمن على نفسه ، ولكنه يتحقق أنه لايطاع ، وهذا حيث لايكون هناك فتنة عامة ، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة ، لما ينشأ فيها غالبا من الوقوع في المحذور ، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة ، فتعم من ليس من أهلها ، كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ . أ هـ قلت : والحديث المذكور ، يدل على أنها في الفتنة ، والاختلاف الذي لايجدي فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكثر فيه اتباع الهوى ، والاعجاب بالرأي ، واجتناب الحق ومعاندته ، ويؤيد معناه قوله صلى الله عليه

وسلم : خير الناس في الفتن ، رجل آخذ بعنان فرسه ، خلف أعداء الله ، يخيفهم ويخيفونه ، أو رجل معتزل في باديته ، يؤدي حق الله الذي عليه .(٧٠) وأيضا حديث ابن عمرو عن النبي ﷺ : كيف بكم وبزمان ، يوشك أن يأتي ، يغربل فيه الناس غربلة ، ويبقى حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم ، وأماناتهم واختلفوا ، وكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ قالوا : كيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم .(٧١) ومن هذا يتبين أن المراد من العزلة هو عند اختلاط الأمور ، وعدم تقبل النصح في ذلك الوقت ، وهو في الفتنة أشد منه في غيرها . والله أعلم .

---

(٧٠) رواه الحاكم (٤/٤٤٦ ـ ٤٦٤) من حديث ابن عباس وصححه وله شاهد عنده (٢/٩٣) من حديث أبي هريرة ، ومن حديث أم مالك البهزية عند أحمد (٦/٤١٩) والترمذي (٢١٧٧) .

(٧١) رواه أحمد (٢/٢٢١) وأبو داود (٢/٤٣٧) وصححه الحاكم والذهبي (٤/٤٣٥) وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن حبان (الزوائد ١٨٤٩) وعلقه البخاري وصححه الحافظ في الفتح (١٣/٣٩) .

(الايمان إذا وقعت الفتن بالشام)

عن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فأتبعته بصري ، فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ، ألا وإن الايمان إذا وقعت الفتن بالشام .

(رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ له (٢٩١/٢ ـ ٣٠٠ ـ ٥٢٣) وكذا ابن عساكر في تاريخه (١/٩٤ ـ ٩٥) والحاكم وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي (٥٠٩/٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٢/٥) وقال الهيثمي : رواه الطبراني باسنادين وفي أحدهما ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع على هذا وبقية رجاله رجال الصحيح وصححه الحافظ في الفتح (٤٠٢/١٢ ـ ٤٠٣) وله شاهد من حديث عمرو بن العاص رواه أحمد (١٩٨/٤) وشاهد آخر عن أبي الدرداء رواه أحمد (١٩٨/٥ ـ ١٩٩) ويعقوب بن سفيان (٢٩٠/٢) وابن عساكر (٩٧/١) وإسناده صحيح وله شاهد آخر من

حديث عمر بن الخطاب رواه يعقوب أيضا (٢/ ٣١١) وابن عساكر (١/ ٩٨) وفي سنده ضعف وآخر من حديث عبدالله بن حوالة رواه ابن عساكر (١/ ١٠١ - ١٠٢) والحديث بهذه الطرق ثابت ، وانظر مجمع الزوائد (١٠/ ٥٨) والترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٦٢) .

قوله (إن الايمان إذا وقعت الفتن بالشام) : أي عند وقوع الملاحم الكبرى ، والفتن العظمى في آخر الزمان ، تكون ديار الشام خير بقاع الأرض يومئذ وفيها ملاذ المؤمنين ، والفسطاط الحصين الذي يتحصن به المسلمون ، وقد جاء في فضائل الشام أحاديث كثيرة منها : حديث عبدالله بن حوالة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ستجندون أجنادا : جندا بالشام ، وجندا بالعراق ، وجندا باليمن . قال : قلت : اختر لي يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالشام ، فمن أبى ، فليلحق بيمنه ، وليسق من غدره ، فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله .[٧٢] ومنها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن

---

(٧٢) رواه أحمد (٤/ ١١٠ - ٥/ ٣٣ - ٢٢٨) ويعقوب بن سفيان (٢/ ٢٨٨ - ٣٠٢) وأبو دود (١/ ٣٨٨) وابن عساكر (١/ ٦٥) والحاكم (٤/ ٥١٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

النبي ﷺ قال : يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها : الغوطة ، فيها مدينة يقال لها : دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ .[٧٣] وجاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال .[٧٤] والملحمة : هي المقتلة العظيمة ، والحرب الشديدة ، وقد ورد أنها تقع بين المسلمين وبين الروم (النصارى) وهم بما يعرفون اليوم بأهل الغرب ، أو دول أوروبا ، لوجود النصرانية فيهم ، وسبب الملحمة هو غدر النصارى بدافع الولاء للصليب ، الذين يزعمون أن عيسى عليه السلام قد صلب عليه ، وقد بين النبي ﷺ ذلك في حديث ذي مخمر رضي الله عنه : تصالحون الروم صلحا آمنا ، وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم ، فتسلمون وتغنمون ، ثم تنزلون بمرج

---

(٧٣) رواه يعقوب بن سفيان (٢ / ٢٩٠) وأحمد (٥ / ١٩٧) وأبو داود (٢ / ٢١٠) والحاكم (٤ /٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي .

(٧٤) رواه أحمد (٥ /٢٣٢ ـ ٢٤٥) وأبو داود (٢ /٢٠٩) باسناد جيد .

ذي تلول ، فيقوم إليه رجل من الروم ، فيرفع الصليب ، ويقول : غلب الصليب ، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله ، فعند ذلك تغدر الروم ، وتكون الملاحم ، فيجتمعون إليكم ، فيأتونكم في ثمانين غاية ، مع كل غاية عشرة آلاف . (رواه أحمد (٤/ ٩١ ـ ٥/ ٣٧٢) وأبو داود (٢/ ٢٠٩) باسناد صحيح ورواه الحاكم (٤/ ٤٢١) وصححه ووافقه الذهبي وله شاهد من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه رواه البخاري وغيره (الفتح ٦/ ٢٧٧) وفيه قوله ﷺ : ثم هدنة بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا . وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم (المختصر ٢٠٢٩) وفيه قوله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ . . الحديث الخ . وتكون الغلبة في النهاية للمسلمين . قال في الفتح : وقال ابن المنير : قصة الروم لم تجتمع إلى الآن ، ولابلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد ، فهي من الأمور التي لم تقع بعد . وفيه بشارة ونذارة ، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة

ذلك الجيش ، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه . أ هـ (الفتح ٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) .

(التعوذ من الفتن)

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . (رواه مسلم (٢٢٠٠) في أثناء حديث طويل) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أتاني الليلة ربي .[٧٥] تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فذكر الحديث . . وفيه قوله تعالى : يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة ، فاقبضني إليك غير مفتون . (رواه أحمد (١/ ٣٦٨) وكذا الترمذي (٣٢٣٣ ـ ٣٢٣٤) وحسنه ، وذكر له شاهدا من حديث

(٧٥) أي في المنام وليس في اليقظة .

معاذ وصححه (٣٢٣٥) وأيضا أحمد (٥/٢٤٣) ورواه أحمـــد عن بعض أصحـاب النبي (٤/٦٦ ـ ٥/٣٦٨) وأخرجه مالك في الموطأ بلاغا (٢١٨) .

هذا ونسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن
ما ظهر منها وما بطن ، وأن يعصمنا من
شرور المحن ، ويميتنا على السنن
ويغفر ذنوب السر والعلن
إنه سميع الدعاء

تم تبييضه في ليلة الأحد
السابع والعشرون من شهر رجب
لسنة ١٤٠٤ للهجرة والموافق
الثامن والعشرون لشهر
ابريل لسنة ١٩٨٤ للميلاد

« فهرس الأحاديث والآثار مرتبة هجائيا »

(أ)

صفحة

(ب ت ث)

(خ)

(س ص ط)

(ع غ ف ق ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

الآثار

الفهرس

ـ من مطبوعاتنا ـ

١)	مبادىء لفهم التراث	محمد ابراهيم الشيباني
٢)	المخطوطات العربية وأماكن وجودها	محمد ابراهيم الشيباني
٣)	محاورات مع العلماء والأدباء	محمد رشيد عو يد
٤)	وصايا ونصائح لطالب العلم	ابن الجوزي
٥)	متى يا شروق (مجموعة قصصية)	نوري الوتار
٦)	مخطوطات المنتظم وأماكن وجودها	محمد الشيباني
٧)	مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول	صلاح الدين مقبول
٨)	زغل العلم (للذهبي)	محمد ناصر العجمي
٩)	معرفة الخصال المفكرة	جاسم الدوسري
١٠)	تنظيم الأوقات في الاسلام	أحمد يعقوب باقر
١١)	نظرات في الفكر الماركسي	أحمد يعقوب باقر
١٢)	عذاب الدنيا	أحمد يعقوب باقر

تحت الطبع : ـ

١) المقاصد العامة في الشريعة الاسلامية.
٢) تنبيه الانسان من مصايد الشيطان.
٣) تأملات في الصيام.
٤) زاد الخطيب.

الصحوة الاسلامية